المملكة العربيـة السعودية
وزارة التعليـم العـالى
جامعة أم القرى
معهـد البحوث العلميــة
مركز بحوث إحياء التراث الإسلامي

من التراث الإسلامي



« نيابتا دمشق وحلب »
من كتاب المواكب الإسلاميـــة

تأليف

محمد بن عيسى بن محمود بن محمد كنان الحنبلي

تحقيق ودراسة

د / بندر بن محمد بن رشيد الهمزاني

١٤٢٤ هـ

ⓗ جامعة أم القرى، ١٤٢٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن كنان، محمد بن عيسى

كتاب المواكب الإسلامية في الممالك الشامية : نيابتا دمشق وحلب / محمد بن عيسى ابن كنان، بندر بن محمد بن رشيد الهمزاني - مكة المكرمة ١٤٢٣هـ

١٧٦ ص ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٠ - ٦٢٠ - ٠٣ - ٩٩٦٠

١ - دمشق - تاريخ - عصر المماليك ٢ - حلب - تاريخ - عصر المماليك

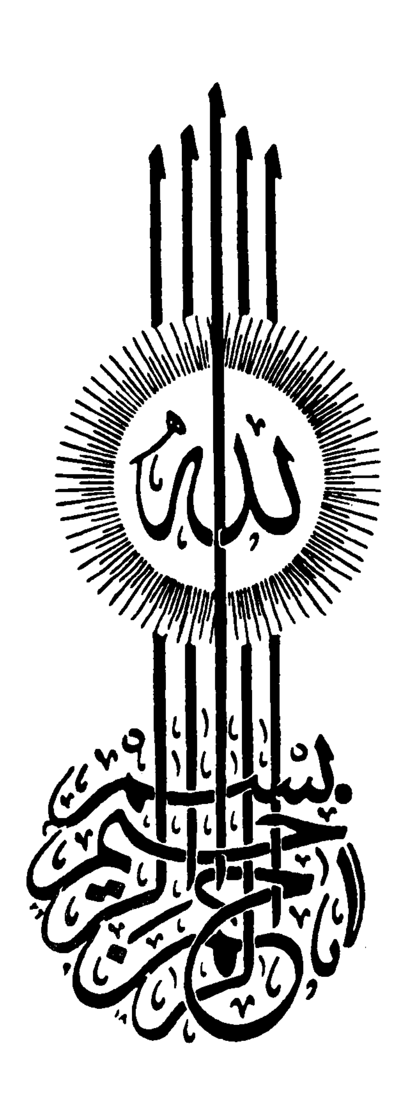
أ - الهمزاني، بندر بن محمد بن رشيد (محقق) ب - العنوان ج - السلسلة

ديوي ٩٥٦,٩ ١٤٢٣ / ٤٣٦٩

رقم الايداع : ١٤٢٣ / ٤٧٢٠

ردمك : ٠ - ٦٢٠ - ٠٣ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الدراسة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين، وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً يا رب العالمين؛ وبعد : فهذا جزء من كتاب المواكب الإسلامية في الممالك الشامية وهو من الكتب النادرة القيمة .

لمؤلفه محمد بن عيسى بن محمود بن محمد بن كنان الحنبلي.

نتعرض له بالبحث والتحليل، ثم تحقيق النص.

تناول المؤلف فى هذا الكتاب خمس ممالك شامية هى: (دمشق، وحلب، وحماة ، وطرابلس، وصفد)، وقد قام برصد الحركة التاريخية والعمرانية لهذه الممالك الخمس ضمن إطار عام هو « **الممالك الشامية** ».

وقد اقتصرنا فى هذا البحث على مملكتين وهما حلب ودمشق[1]، وفى إمكاننا قياس الممالك الثلاث الأخرى عليهما من الناحية الدراسية.

منهج الكتاب : أبرز المؤلف في كتابه بعض المواضيع واهتم بها اهتماماً كبيراً وخاصة كل ما له صلة بموضوع كتابه فقد التزم بمنهجية معينة هي التمشي مع مضمون العنوان، ولا شك بأن المؤلف قد اعتمد على من سبقه من المؤرخين في هذا الجانب وعلى الرغم من ذلك نجده يصف لنا ما حدث في بلاد الشام حتى بعد عهد هؤلاء المؤرخين السابقين له ، ويُلاحظ عمقه وتتبعه لوصف بلاد الشام، والمؤرخ لا يولي الأحداث والأخبار السياسية أي جانب من الأهمية في كتابه ولعله أراد الالتزام بحدود عنوان كتابه ورأى ضرورة عدم الخروج عن مضمون

العنوان، ومما يؤخذ على المؤلف أنه عند حديثه لبعض الشخصيات ينقصه التعريف المفيد لهذه الشخصيات والأعلام فهو لا يهتم بهذا الجانب، ومما يذكر حول منهجه أنه يعتمد أحياناً على المشاهدة بالإضافة إلى إعتماده على النقل فإنه يصف لنا الممالك الشامية وصفاً مغايراً للوصف الذي ذكره من سبقه وملائماً للتجديدات التي حدثت أثناء عهده ، وقد انتهج المؤلف في إعداد كتابه أسلوباً مميزاً وسهلاً ومختصراً ولكن اختصاره يتميز بأنه جامع لكل المواضيع التي لها صلة بعنوان كتابه، ويُلاحظ عليه أنه دائماً يتجنب الاستطراد في الكلام، ولقد اتسمت تلك الفترة التي عاش فيها مؤلف الكتاب بالخرافات والبدع والإنحراف عن العقيدة الإسلامية الصحيحة وهذا ما يظهر من كتابات تلك الفترة ومؤلفيها الذين بالغوا في هذا المجال ونقلوا وكتبوا لنا أموراً منافية للعقيدة الإسلامية الصحيحة وها هو مؤلف الكتاب واحد ممن ابتلي بهذا الداء فهناك بعض الأخبار والروايات غير الصحيحة والموجودة في كتابه والتي كان ينبغي عليه أن يبين مصداقيتها وهل هي صحيحة أم لا ؟ إذ نجده ينقلها من الكتب ويذكرها دون أدنى تعليق على ذلك.

ويعتمد الكتاب على الوصف، واستخدام بعض التشبيهات والمحسنات ، وهذا يلائم طبيعة الكتاب الذى يصف محاسن الممالك الشامية.

كما يكثر المؤلف من الاستشهاد بالشعر؛ ليضفى المزيد من التشبيهات والمحسنات على وصفه، والمؤلف أكثر من استخدام السجع والمحسنات البديعية التي أضحت واضحة للقارئ .

يبدأ المؤلف كتابه بالحمد والثناء على الله ورسوله، ثم يذكر سبب تأليفه للكتاب وإلى من يوجهه، ثم ينطلق فى وصف الممالك والمحاسن الشامية ومحاسنها.

سبب تأليفه : وقد ذكر المؤلف في مقدمة كتابه الدافع لتأليف الكتاب هو دافع نفسي، حيث يحب المؤلف الشام حبًّا جمًّا، وهو يرى أنها أجمل بقاع الأرض على الإطلاق.

إلى من يوجه: يوجه الكتاب إلى الوزير كافل دمشق الشام، الدستور المكرم.

عرض للكتاب من الخارج

(إطار نظرى)

مقدمة الكتاب :

يبدأ المؤلف بحمد الله على نعمه، والشهادة بالوحدانية لله، ونبوة رسوله الكريم سيدنا محمد - ﷺ -

ثم يتحدث عن دافع تأليف الكتاب - الذى يسميه رسالة - وهو دافع نفسى حيث يحب المؤلف الشام حبًا جمًا ، ومن ثم أراد أن يخط هذه الرسالة عن الممالك الشامية، وتدبير المواكب بها، وما بها من محاسن بارعة.

وهو يعترف بأنه اجتهد قدر استطاعته لتكون هذه الرسالة فى أبهى صورة، ومع ذلك فهو لا يزعم أنها بريئة من الخطأ أو سليمة من الزلل، وإن كان يؤكد أنها احتوت خير المقاصد والخلال.

ثم يوضح أن الرسالة موجهة إلى الوزير كافل دمشق الدستور المكرم، ويدعو له ويثنى عليه.

ويعرض المؤلف بعد ذلك لتقسيم موضوعاته، وأنه سيبدأ بدمشق وما بها من محاسن وما يناسب ذلك من الشعر.

المملكة الأولى (دمشق):

هى أكبر مدن الشام، طولها من الفرات إلى العريش، وعرضها من جبل طيئ إلى بعد الروم. وهى معدودة من جملة مدائن الجنة، وتعرف بـ (إرم ذات العماد)[1]، وهى ربوة ذات قرار ومعين وعامرة بالمتنزهات الجميلة والأنهار الجارية، وهى تفوق مصر فى حسنها.

---

(١) إرم ذات العماد: يقال إنها دمشق، ويقال: إنها بتيه أبين من اليمن. ينظر معجم ما استعجم (١ / ١٤٠) واستخدام إرم ذات العماد على أنه دمشق هو استخدام مجازى فقط ، لأن مكانها معروف كما هو واضح في كتب التفسير .

ـ وقد اختلفت الآراء المذكورة فيمن بناها، فقيل: بناها اليونان، وقيل: بناها ولد عاد[١].

ـ وأبواب دمشق سبعة، الأول: الصغير، الثاني: الجابية، الثالث: كيسان، الرابع: توما ، الخامس: الجنيق، السادس: الفراديس[٢].

ولباب الجابية ثلاثة أبواب: أحدهما صغير واثنان كبيران، وقد فتحت أبواب أخرى كباب الفرج ، وباب السلام، وباب النصر ، وباب الحديد ، وباب السر .

ـ وبنى معاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنه ـ دار الإمارة قبلى الجامع وسماها الخضر (القبة الخضراء) و (الدار الخضراء)، وبالقلعة المحروسة ضريح أبى الدرداء[٣] ـ رضى الله عنه ـ وبها منارة وخطبة، وتزخر دمشق بالعديد من المحاسن

---

(١) قال أبو العباس القلقشندى: وقيل بناها جيرون بن سعد بن عاد، وبه سميت جيرون، ويقال إن جيرون وبريدًا كانا أخوين وهما ابنا سعد بن لقمان بن عاد، وقيل بناها العاذر: غلام إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام وكان حبشيًا وهبه له نمروذ بن كنعان حين خرج إبراهيم من النار وكان اسمه دمشق فسماها باسمه صبح الأعشى فى صناعة الإنشا (٤/٩٢) .

(٢) المذكور ستة وفى الأعشى (٤/٩٢) وهى مدينة عظيمة البناء ذات سور شاهق ولها سبعة أبواب: باب كيسان، وباب شرقىّ، وباب تُوما، وباب الصغير، وباب الجابية، وباب الفراديس، الباب المسدود قال الحافظ ابن عساكر: أن بانيها جعل كل باب من هذه لكوكب من الكواكب السبعة، وصور عليه صورته، فجعل باب كيسان لزحل، وباب شرقى للشمس، وباب توما للزهرة، وباب الصغير للمشترى، وباب الجابية للمريخ، وباب الفراديس لعطارد، والباب المسدود للقمر ينظر صبح الأعشى (٤ /٩٢) .

(٣) أبو الدرداء (ـ ت ٣٢هـ) هو عويمر بن مالك بن قيس بن أمية، أبو الدرداء الأنصارى من بنى الخزرج صحابى كان قبل البعثة تاجرًا فى المدينة، ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك، ولاه معاوية بن أبى سفيان قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أول قاض بها وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظًا على عهد رسول الله ﷺ مات بالشام. ابن عبد البر الاستيعاب (٣/١٢٢٧) ، وابن حجر الإصابة (٣ / ٥) ، وابني الأثير أسد الغابة (٤/١٥٩) .

كـضـرب النوبة، والسـواقى، والـنوافـر، والمسـاجـد، والمدارس، ومنتـزه الجبـهـة، والأنهار، ومنتزه البهنسية، ومحلة[1] النيرب، وحمامات الصالحية، محلة الدهشة، غوطة دمشق[2]، وبها العديد من منتزهات الجوامع، مثل الجامع البردبكى بدمشق، وبها بعض القصور المبنية للنزهة، ومحلتا الخلخال والمنيبع، ومحلة الربوة[3].

وبها الحوانيت والآثار القديمة، ومغارة الدم، وقبور الصالحين، وعيون الماء.

وقد تعـرضت بعض هذه المحاسن للخـراب، فعلى سـبيل المثـال خربت ثلاثة متنزهات تعـد من أجمل منتزهات دمـشق فى عام ٨١٠م وهى: الدهشة، وبسـتان النشـوة، وبستـان ابن جمـاعة، وذكـر ابن كنان الحنبلى أن سبب هذا الخـراب هو الحروب (الواقعات) كوقعة قازان، ووقعة ملك الألماق[4].

ـ أمـا فيـمـا يختـص بالمدارس فى دمـشق فـهى عديـدة منها: الـدلاميـة[5]، والبـادرائية، والـعمـرية، والضـيائيـة، والعلمـيـة، والناصريـة، والباسطيـة، والركنيـة الجوانية، والقيمرية، والحافظية، والشبليـة، والحسامية، والمرشدية النظامية، والخانقاه الحاجـبية، والإبراهيـمية، والمقـدمية، والقـلانسيـة، والأرصدية، والأرموية الغـربية، والأرموية الشرقـية، والأتابكية، والمعظميـة، والخانقاه الأهرمزية، الخانقـاه الخاتونية، الصاحبية، العمادية، الأستدارية، البزورية، الحنيفـية، الخديجية، الرحبية، الأشرفية، الفاضلية.

---

(١) محلة : قرية.

(٢) أحد مستنزهات الدنيا العجيبة المفضلة على سائر مستنزهات الأرض ينظر صبح الأعشى (٤/ ٩٢) .

(٣) هي كهف فى فم واديها الغربى، عنده تنقسم مياهها. ينظر صبح الأعشي (٤ / ٩٢) .

(٤) سيأتي ذكر ذلك مفصلا عن المصنف رحمه الله.

(٥) أنشأها الخباب الخواجكى الرئيسى الشهـابى أبو العباس أحمد بن المجلس الخواجكى زيد الدين دلامة ابن عز الدين نصر الله البصرى أجل أعيان الخواجكية بالشام وقد وقفها فى سنة سبع وأربعين وثمانمائة. ينظر الدارس فى تاريخ المدارس (١ / ٨) .

ـ وبدمشق من الزوايا [1] والمساجد ما يند عن الحصر ويتأبى على الاستقصاء.

ـ أما الجوامع فمن أشهرها: الجامع الجديد، الجامع البردبكى، جامع القرب، جامع خلخان، جامع ابن الرفاعى، جامع الجوزة، جامع التوريزى، جامع البزورى، جامع بنى أمية، جامع المبروم، جامع صالح أغا، جامع حسان، جامع الشيخ مراد، جامع النطاعية، جامع الحشر، جامع يلبغا، الجامع النورى، جامع الجراح، جامع المصلى، جامع الركنية.

ـ ومن المتنزهات المباركة فى دمشق: سفح قاسيون، وهناك الكثير من الآثار عن فضله، وكانت أكثر العلماء توصى بالدفن فيه، وفيه من أماكن الإجابة المقام الذى يسمى ((مغارة الدم))[2].

ـ ومن العلماء المنسوبين إليها: البهار بن الخضر الفقيه المحدث ولد ابن تيمية المحدث، والحافظ ابن المحب شارح البخارى ، والعارف المحدث الحافظ عبدالرحمن ابن داود الحنبلى، وغيرهم كثير.

ـ ومن الصوايح[3] بها: السنانية ذ وهى أعظمها ـ ثم باب البريد ـ ، ثم المناخلية، ثم العمارة، ثم الشاغور، وغير ذلك مما لا يعد.

ومن محاسن دمشق أيضا : قبة النصر فى الصالحية، ويخرج الناس إليها للنزهة، ومن محاسنها أيضًا العنابة، ومنتزه اليلكى، وغيضة السلطان (غيضة

---

(١) قدَّم المؤلف الزوايا على المساجد في الأصل .

(٢) هذا كلام لا دليل عليه ، وربما كان ذلك من خرافات الصوفية الذين يربطون إجابة الدعاء بأماكن لم يرد عليها دليل من الشرع ..

(٣) مكان مرتفع يستخدم فى النداء على الأشياء. القاموس المحيط (صوح).

حمد)، ومن محاسنها: خزين الثلج وهى بإحدى القرى، وهو يخزن من العام إلى العام ويحمل منه للقاهرة، ومن محاسنها: المرج، ومن محاسنها: الجامع الشريف الأموى، ولا يوجد له مثيل على وجه الأرض فى جمال عمارته[١].

المملكة الثانية (حلب):

اختلف فى شأن تسميتها، وهى تعرف بحلب الشهباء[٢].

وبها الطرق الفائقة، والأسواق الأنيقة، والحمامات البهية، وبها الجوامع والمدارس والزوايا والخوانق، وبها نهران: (نهر قويق[٣]، ونهر الساجور[٤])، وبها الفواكه الكثيرة.

ويقال عنها: إنها مدينة عظيمة الخيرات، طيبة الهواء، صحيحة التربة، لها سور حصين، وقلعة حصينة، وخصها الله ببركة عظيمة حيث يزرع فى أرضها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والكروم والمشمش والتفاح والتين والفستق، ويسقى كل هذا بماء المطر.

والمدينة مسورة بسور من الحجر الأسود، وبها جبل مدور عليه قلعة عظيمة[٥].

يعرض المؤلف بعد ذلك لتقسيمها، ولترتيب المواكب بها.

---

(١) وهذا الجمال الذى يتحدث عنه المصنف كان فى وقت المصنف فأما الآن فلا يعدل بالحرم مثيل.

(٢) عرفت بذلك لبياض حجارتها لسان العرب (شهب).

(٣) قال فى الأعشى (١١٧/٤): وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب الجاه: أن الملك الظاهر غازى بن العادل أبى بكر بن أيوب، ساق إليها نهرًا فى خمس وستمائة، لعله نهر قويق المذكور.

(٤) وهو نهر مستحدث، ساقه إليها السلطان الملك الناصر ((محمد بن قلاوون)) فى سلطنته وحكمه عليها. ينظر صبح الأعشى (٤ / ١١٧).

(٥) قال ياقوت: وأما قلعتها فبها يضرب المثل فى الحسن والحصانة لأن مدينة حلب فى وطإ من الأرض وفى وسط ذلك الوطإ جبل عال مدور صحيح التدوير مهندم بتراب صح به تدويره والقلعة مبنية فى رأسه. معجم البلدان(٢ / ٣٢٩).

المواكب: موكب الباشا: (موكب ديوانى):

فى يوم دخول الباشا يخرجون لملاقاته إلى قرب حمص غالبًا من أركان السرايا باباكجية والحواجبية[1] والترجمان[2] فى السرايا، وديوان أفندى العرب، وبعض الحواجبية، وتكون الهدايا مع كبارهم لتقدم للباشا، وتجعل له خيمة فى قرية ((حرستا)) ويستضاف بها هو ومن معه، وفى حرستا يقابل دولة الشام من الينكجرية والزعماء، ودولة قلعة دمشق، وأغا القلعة وقاضى الشام، والمفتى، والمدرسين، .وأرباب الرقع، والمدارس، ويمرون كل حسب درجته. وفى أول جمعة يتجه الباشا بموكبه إلى الجامع الكبير ويصلى عند رأس نبى الله يحيى ـ عليه السلام ـ فيصلى الجمعة، ثم يعود بموكبه إلى السرايا[3].

ثم يتم تدبير الموكب من أجل الحج ويبدأ ذلك فى الثامن من شوال، وأول ما يجمع العساكر، ثم لا يلبث أن يجتمع الكل من أغاوات وأكابر والقاضى، وأول ما يخرج التخوت والجمال وهى مزينة، ويمر الركب على أماكن مختلفة ويلاقون الضيافة، ثم يطوى العمل، ويوضع فى صناديق مختومة إلى موكب طلوع الحج الشريف، وفى السادس عشر من شوال تطلع العساكر والأمراء والباشا وحده، والقضاة، وإن كان الباشا هو الأمير يطلع ومعه العساكر وأمامه المدرسون والمحمل والصنجق، ثم اليدكات ويتقدم الباشا على الصنجق إلى قبة الحاج، ثم يترجل

---

(١) أي الحاجب وهو معروف.

(٢) وهو الذى يترجم الرسائل وغير ذلك وهو معروف .

(٣) هذا المقام ليس بثابت ، حيث ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٤٤٥/٢٤) أن جميع قبور الأنبياء ـ عدا قبر النبي صلى الله عليه وسلم غير معروفة ـ وفي قبر الخليل عليه السلام خلاف ..

العسكر القضاة تحت قبة الحاج، ويكتبون حجة التسليم، ثم يأخذ الباشا جمل المحمل منهم ويودعونه هناك...

موكب القاضى (موكب دينى):

يخرج لهذا الموكب المدرسون، وكتاب المحاكم، والنواب وأكابر العسكريين والأغاوات، فيدخل كدخول الباشا ومعه المفتى والقضاة والمدرسون والكتاب، ويمر على الأبارين، وباب البريد إلى دار الحكم عند مزيج نور الدين الشهيد قبلى المدرسة النورية ، ويكون المسلم من الملاقية ، ويذهب إلى دار العدل فيسلم عليه هناك.

عرض للكتاب من الداخل

(إطار مفاهيمى)

ننطلق فى تحليلنا لهذا المؤلف من ثلاثة مفاهيم هى:

مفهوم العمران[1] والمقصود هنا العمران البنائى المتعلق بالمبانى المختلفة والفن المعمارى المتصل به. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نتحدث عن العمران الزراعى المرتبط بالنباتات والزهور.

مفهوم التخطيط : وفيه نتحدث عن تقسيم المكان.

مفهوم الإدارة : ونعرض فيه للمناصب والوظائف وأسلوب إدارة المكان.

أولاً : مفهوم العمران :

يحرص المؤلف على إبراز جمال العمران فى الممالك الشامية، وهو يشعرنا فى كل صفحة من صفحات مؤلفه أنه يحب الشام حبًا لا يوصف ويفضلها على كل أماكن الدنيا.

(١) من المعلوم أن التخطيط يسبق العمران فكان على المؤلف مراعاة ذلك .

وهو يتناول العمـران من زاويتين، الأولى: تختص بعمران البناء، والثانية: تختص بالعمران الزراعى، أما عن عمران البناء فهو يظهر فى وصف المساجد والمدارس والقصور والخوانق، ومن خلال ذلك الوصف يتفنن المؤلف فى إبراز دقة وجمال البناء فى الشام، ويعزز هذا الإحساس بالجمال الاستعانة بالشعر الذى يعكس عمق إحساس المؤلف بحسن وجمال الشام .

المملكة الأولى (دمشق) :ومن خلال مفهوم العمران نتلمس الجمال العمرانى الذى يعرضه المؤلف من خلال وصفه للمحاسن الشامية ومنها دمشق وما بها:

فهو يصف (الجبهة) بأنها: أرض مربعة قدر فدانين عليها شقائق تظلها من غير طين بين شجر الصفصاف والحور والجوز وكل منوس يحتاط جدول الماء من أربع جهاته مع البركة والبحيرات والنوافر، وهى على جنب نهر بردىُ، وبها النواعير والحوانيت، وبها مسجد ومدرستان وخان مقاصفية واقفة فى خدمة الناس.

ويتحدث عن جامع يلبغا فيقول: وهو يطل على الربوة من سائر جهاته، وعلى بحرته غرفة، ولها نوفرة قدر قامة.

والجامع البردبكي : وهو مركب على بردة وله ثمانية شبابيك، اثنان شرقيتان وأربعة قبلية.

المدارس : الكرجانية والمولوية والزهرانية، هى ما تبقى من المدارس.

ويتحدث المؤلف عن (قصور دمشق) المبنية للنزهة، وهى محدودة، وقديمًا كانت تعمر العمائر للنزهة من غير طين.

جامع تنكز والخانقاه : ويجرى فيه بانياس، وهو النهر الوحيد الظاهر الذى يجرى فى الجامع، بالإضافة إلى نهر مدرسة العمرية بالصالحية.

وهذا الجامع فى الزقاق القبلى، وفيه شباك على خط الاستواء يشرف على الموجة والأنهار.

الكوجانية : مدرسة تقابل الجامع السابق، وهى تطل على المرجة (الحدائق) كلها وأصبحت بستانًا ماعدا العمارة فى الأعلى، ويذكر أنه كانت بها قبة لها طاقات بعدد أيام السنة كل يوم فى طاقة، وهذا من أحسن الهندسة.

وفى (تنكز) مئذنة من العجائب مكتوب عليها اسم معماريها مع كونها جسرًا، ومتعددة لها دربان، وهذا لم يوجد فى غيرها، و(المساجد) لا تحصى، أما (الجوامع) فهى خمسة وتشتمل على قباب كثيرة.

ومن الأمور الغريبة أن نرى الحارة بجوار القصور.

ويصف (قبور) الأعلام والأولياء بالفخامة[1]، وأنه لم يعد منها إلا الذى تم إنشاؤه منذ زمن أبى عمر صاحب المدرسة العمرية.

وفى (الربوة) حمام ليس له مثيل على الأرض لكثرة مياهه ونظافتها، وله شبابيك تطل على الأنهر.

وبها القاعة التى بناها نور الدين الشهيد على شعب الجبل الشرقى جميعها منحوتة بالأخشاب سقفها نهر يزيد نهر تورا، ومنظرها من الغابات التى لا تدرك، وقبالها الجبل الغربى والشرقى.

قبة النصر : وهى تقع على رأس الجبل، وهو مكان لا يوجد أعلى منه.

وقد أنشأها الملك الناصر،ويرى منها جميع الشام ونواحيها والأنهار كخيوط الفضة.

---

(١) إن تفخيم القبور لا يجوز شرعاً ، حيث أن البناء عليها والمبالغة في ذلك من الوسائل المفضية للشرك .

الجامع الشريف الأموى : بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان، وكان الجامع نصفه كنيسة ونصفه الآخر جامع، وكان محراب الصحابة فى الجامع، فأرضى الوليد النصارى بعدة كنائس فرضوا، ثم هدمه وأنشأ فيه القبة والقناطر وزينه بالذهب وجعل سلاسله منه ـ أى من الذهب ـ وبقى العمل فيه سبع سنوات، وكان يعمل فيه اثنا عشر مرخمًا (عامل رخام)، وتكلف من الدنانير المصرية مائة قنطارٍ، وبالدمشقى أربعة وأربعين قنطار.

شرع فى بنائه بعد ذلك بفكرة جيدة، وجعل جدرانه كلها منقوشة بصفة سائر البلدان، صورها فى الجدران، ورتب شموعًا واصطنع مجامر للنجوم على أعمدة، ووكل خدمه لذلك، وسبك محرابًا من نحاس كل سراج يوضع فيه قنطار من الزيت.

ووضع فى محراب الصحابة حجرًا من البلور، وقيل: درة يقوم نورها مكان المصباح.

والقبتان من بناء اليونان، وكان بناؤهما للناقوس والرصد، ويقال إن القبة الشرقية احترقت سنة (٧٤٠هـ)، فأعيد تجديدها من أموال النصارى لاتهامهم بحرقها.

ويقال: فى الركنين الشماليين صومعتان كالمقابلة فيها خلوتان من فوق الأعمدة، فيها كتب الأوقاف ومقفل عليها بالحديد.

وفيه طلسمات للحيات والحشرات والعقرب والخنافس والعناكب والذباب والعصافير والوطواط.

وفيه مشارب كبار ـ جمع مشربية ـ مدهونة ومزخرفة، ولعلها كانت أكثر مما هى عليه وذهب أكثرها لتوالى المحن على دمشق.

وهذه المشارب وضع فيها شيء من الرصد؛ وذلك حتى لا تنالها الأيدى.

وقد تعرض هذا المسجد لشيء من المحن والفتن التى أصابت دمشق.

وفى فتنة (تيمورلنك) تغيرت محاسن المسجد، وجعله لتيمورلنك مربطاً لخيول بعض دولته !! .

وللمسجد سبعة أبواب كبار وبابان صغيران أى أنها تسعة أبواب فى مجموعها، وهى: أبواب البريد، وأبواب جيرون، وباب الساعات.

وبالجامع طلسمات لسائر الحشرات معلقة به، وبالمسجد فوارة للماء أقيمت فى سنة (٣٠٠هـ)، وفوارة جيرون، وقد خربت سنة (٤٠٠هـ) وتم تجديدها سنة (١١١١هـ) (جددها مفخر الكبراء بدمشق عبد المعطى حلبى).

وقد أعيد بلاط الجامع مرة أخرى بعد أن دثر بلاطه القديم، وقد نصب محراب الحنابلة بالرواق الثالث من الحرم.

واحترقت المئذنة الغربية سنة(٨٠٠ هـ) بسبب الحرب، ثم جددت وفيها عمل درابزين العروس.

وتعطلت أوقاف الجامع عندما وقعت فتنة تيمورلنك، وفى فتنة الناصر كذلك.

ولا يرى الحمام فى المسجد وهذا من العجب وبطل، كما أحرقت المئذنة الشرقية سنة (٧٠٠هـ) وظلت خرابًا ثمانية أشهر، ثم تولى عمارتها الرشيد الصالحى نائب المملكة، وتم توسيع الجامع ومنع كثير من المجاورين.

وتم إزالة حواصل الأمراء وغيرهم فاتسع الجامع، وكانت نقوش الجامع من الرخام الأبيض المختم بالأزرق وقد فسدت أيام الحريق وفتنة تيمورلنك وغيرها، وكان فى دائرة سائر نقوش البلدان الدنيا كالهند والصين، وجميع الفواكه منقوشة بالفسيفساء الملونة وهو شيء عجيب، وطوله مائتان وخمسة وثلاثون خطوة.

ومن جمال العمران الرائع فى هذا المسجد أن الشمس تنعكس بألوان غريبة من الحائط كالأرغوانى، والأحمر، والأصفر، والأخضر، والأزرق.

كما أن محراب المسجد من عجائب الدنيا، الأعمدة فيه صفوف، وبه محاريب صغيرة منقوشة حولها أسوار مفتولة، بعضها أحمر، كأنه مرجان.

وله أربعة أبواب، وأعظم هذه الأبواب هو : باب جيرون ، وهو مفروش بالبلاط بدرج عظيم، وبلاط عريض طويل، وهو خمسة أبواب مقوسة ولها أعمدة فى جهة اليسار، ومشهد كبير فيه رأس سيدنا يحيى ـ عليه السلام ـ وأمام البلاط درجة تنحدر عليها إلى الدهليز، وهى كالخندق العظيم يصل إلى باب عظيم الارتفاع، وبالدهليز أعمدة عليها شوارع مستديرة، بها حوانيت العطارين وغيرهم، وعليها شوارع مستطيلة مستديرة فيها الحجر والسوق، وفى وسطه الحوض، به أنبوب أطول من قامته، وحوله أنابيب صغار، وعن يمين الخارج شبه غرفة، لها شبه طاقة كبيرة مستديرة ولها اثنا عشر دائرة من نحاس مخرمة، فى كل دائرة زجاجة، وخلف الزجاج مصباح يدور به، وتسمى الميقاتية على ترتيب مقدار الساعات، ولها مشارف.

ومن عجائب هذا المسجد أيضًا أن أبوابه منها ما يدخل إليه بنزول كباب البريد، ومنها ما يدخل إليه بطلوع مثل باب جيرون، وبقية الأبواب سوية، وهذا ذروة الجمال العمرانى والفن المعمارى.

وفيه قبة النسر وهى توازى الجبال، وقبة صغيرة فى الشرق، والأخرى فى الغرب مصفحة بالرصاص.

القدس : وهى محل الأنبياء، بناها نبى الله داود ـ عليه السلام ـ بأمر من الله.

المسجد الأقصى : فى الطرف الشرقى من مدينة القدس، بناه داود ـ عليه السلام ـ طول كل حجر عشرة أذرع، فى قبلته حجر أبيض مكتوب بالقدرة محمد رسول الله، وفى وسط المسجد صخرة، وفيها أثر قدم النبي ـ ﷺ ـ[(١)] وتحتها مغارة، والمسجد أربعة أبواب، وفى شرقها خارج القبة قبة أخرى على أعمدة حسنة، وقبة المعراج، وكذلك قبة النبى ـ ﷺ ـ

وقيل: إن قبة الصخرة كان طولها اثنى عشر ميلاً فى السماء، وكان فى رأسها ياقوتة حمراء، وبها محراب مريم ـ عليها السلام ـ ومحراب نبى الله زكريا، عليه الصلاة والسلام.

أما المسجد فطوله سبعمائة وأربعة وثمانون (٧٨٤) ذراعًا، وعرضه أربعمائة وخمسة وثمانون (٤٨٥) ذراعًا وبه ستمائة وأربعة وثمانون (٦٨٤) عمودًا، وسقفه أربعة آلاف (٤٠٠٠) خشبة، وبه ألف وستمائة(١٦٠٠) قنديل، وأربعمائة (٤٠٠) عمود لإشعال النار.

وبالمسجد عين سلوان تبرك بها الناس، ومما يروى فى ذلك أن شارب ماء هذه العين يسلو الحزن[(٢)].

المملكة الثانية (حلب) : وهى من قواعد الشام القديمة فى طريق العراق، مبنية بالحجر الأصفر الذى ليس له نظير وتعرف بحلب الشهباء، وهى مسورة بالحجر الأسود، فبجانب السور قلعة حصينة، وفى وسطها جبل مستدير عليه القلعة، ولها خندق عظيم، وبوسط المدينة قلعة عظيمة على تل مرتفع، وبها مهد

---

(١) هذا لم يثبت بحال ، بل هو من الكذب المبين كغير ذلك من الآثار المنسوبة ، والمشاهد المكذوبة .

(٢) هذا من التبرك الممنوع .. وحكاية أن الشرب من هذه العين يسلو الحزن من خرافات الجهال والصوفية .

إبراهيم ـ عليه السلام ـ ويقصده[1] الناس للزيارة، وللقلعة سوران أسفلهما خندق عميق.

وبمملكة حلب قلاع لا حصر لها تمتاز بجمال الموقع والبناء، وتجرى بها الأنهار وتتعدد البساتين.

وبحلب مدينة أنطاكية وهى مدينة لم يكن لسورها نظير فى الدنيا، طوله اثنا عشر ميلاً من صخر صلب، وعدد شرفاتها اثنان وعشرون ألفًا، وأبراجها مائة وستة وثلاثون(١٣٦) يمر بظاهرها نهر العاص.

العمران الزراعى :

يسهب المؤلف فى الحديث عن أنواع النباتات فى الممالك الشامية، وفى وصف هذه النباتات، وكيفية الاعتناء بها، وفوائدها الطبية، وذلك فى الفصول الأخيرة من الكتاب.

ويعرض المؤلف لهذا المفهوم فى أكثر من نصف الكتاب، مما يعكس اهتمامه بالعمران الزراعى، ويمكن لنا أن ندرك ذلك الاهتمام بوضوح من مطالعة الكتاب، هذا فضلاً عن تخصيص المؤلف بعض مؤلفاته للحديث عن العمران الزراعى، مثل « **الملاحة فى علم الفلاحة** » :

وهكذا يتضح مما سبق عرضه فيما يتعلق بمفهوم العمران عند المؤلف أنه يركز على العمران البشرى بشقيه البنائى والزراعى، فهو يصف جمال المبانى سواء كانت مدارس أو مساجد أو دورًا أو قلاعًا . ويحاول أن يبرز ما فى هذه المبانى من جمال وفن معمارى يستحق التأمل والتفكير، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى

---

(١) وقيل كان إبراهيم الخليل يأوى إليها ويحلب عنه ويتصدق بلبنها وهذا أحد الأراء التى من أجلها سميت حلب وذكر ذلك فى الروض المعطار [حلب] وصبح الأعشى(٤ / ١١٦) .

فهو يصف أنواع النباتات ولا يكتفى بمجرد التعرض لمظهرها الخارجى وما يتضح فيها من بديع صنع الله فى خلقه، وإنما يسهب فى الحديث عن الفوائد الطبية لكل نبات من هذه النباتات، ويتضح أيضًا أن الكاتب على علم بفن الزراعة فهو يصف البيئة الملائمة لكل نوع من هذه المزروعات وكيفية الاعتناء به والتخلص من الأمراض والآفات التى تصيبه وأسلوب الرى. إلى آخر ذلك مما يبرز أنه على وعى كبير ودراية بالغة بالزراعة.

وقبل أن ننهى الحديث عن مفهوم العمران كما يمكن أن نلمسه فى المؤلف الذى بين أيدينا تجدر الإشارة إلى هذا المفهوم عند ابن خلدون والذى تحدث عن العمران فى مقدمته الشهيرة، فابن خلدون يرى أن الاجتماع المدنى ضرورة لبقاء الجنس البشرى وهذا هو معنى العمران لديه، وقد قسم العمران إلى بدوى وحضرى « فالعمران وهو التساكن والتنازل فى مصر أومحلة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات، لما فى طباعهم من التعاون على المعاش. ومن هذا العمران ما يكون بدويًا، وهو الذى يكون فى الضواحى وفى الجبال وفى الحلل المنتجعة فى القفار وأطراف الرمال، ومنه ما يكون حضريًا وهو الذى بالأمصار والقرى والمدن والمدائن للاعتصام بها والتحصن بجدرانها »[1].

وقد عالج ابن خلدون مختلف التقلبات التى تواجه المجتمعات من خلال علم العمران.

ويرى ابن خلدون أن ظاهرة العمران لها ثلاث خصائص: أولا: هى ظاهرة (طبيعية)؛ فالتجمع البشرى طبيعى، والإنسان اجتماعى بطبعه، ولا يمكن أن يعيش منفردا.

ثانيًا: هى ظاهرة (عضوية) بمعنى أنها تتطور.

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٣٥ .

ثالثًا: هى ظاهرة (وظيفية) من حيث إن الأفراد يتخصصون فى عمل معين يبرعون فيه ويكتسبون مهارات معينة.

فعلم (العمران) عند ابن خلدون هو علم الاجتماع، والعمران كما عرفته اللغة هو البنيان وما يعمر به البلد ويحسن حاله بواسطة الفلاحة والصناعة والتجارة، وكثرة الأهالى ونجح الأعمال والتمدن.

و(العمارة) نقيض الخراب وهى أيضا البنيان، و(فن العمارة) هو فن تشييد المنازل ونحوها وتزيينها وفق قواعد معينة.

إذن فالمؤلف فى كتابه حين يصف عظمة وجمال البنيان وإعمار الأماكن الخربة فهو يتحدث عن (العمارة) أو (فن العمارة)، وحين يتحدث عن الفلاحة فهو يتحدث عن (العمران).

وفيما يتعلق بدلالة اهتمام المؤلف إلى هذا الحد بالعمران فإنما يرتبط هذا بفكرة تعمير الإنسان للأرض، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وأمره بإعمار الأرض، ونهاه عن كل ما من شأنه أن يخربها أو يدمرها.

ثانياً : مفهوم التخطيط:

المقصود بتخطيط المكان تقسيمه وتهيئته للعمارة، وتخطيط البلاد أن نجعل لها خطوطًا وحدودًا.

وقد مرت المدن الإسلامية بظروف مختلفة فى التكون من حيث حركية البيئة، فمنها ما هو مركزى للغاية كما حدث فى ((بغداد))، حيث سيطرت الدولة على تخطيط المدينة وبنائها، ومنها ما هو لا مركزى تمامًا كمدينة ((مشهد))، إذ أنها نمت وتكونت بمجهودات الأفراد وإشرافهم[1].

---

(١) جميل عبد القادر، عمارة الأرض، ص ١٧٦ .

وتعتبر دمشق من حيث التخطيط مدينة تلقائية أو شبه تلقائية أى: تعبر عن تصرفات الأفراد وليس تخطيط الدولة، وهى من المدن المنشأة قبل الإسلام، وقد فتحها المسلمون، وبرغم تخطيطها المسبق لمن بنوها من غير المسلمين إلا أن المسلمين غيروا المدينة المخططة لتشبه المدن التلقائية.

والاختطاط فى المدن الإسلامية الأولى كان يعنى حيازة أكبر فريق ساكن أو الفريق المستوطن لموقع ما. وذلك بالتعليم بخطوط أو حوائط أو أشواك وما شابه لتعليم الحدود الخارجية للموقع وذلك فى منطقة معلومة بإذن السلطان[1].

وفعل الاختطاط هو الخطوة الأولى نحو إعمار الموقع، ولا يعنى هذا بالضرورة تعليم التفاصيل الداخلية المتممة للإعمار.

والاختطاط ـ كفعل ـ يوحى لنا بوجود فريق نشط عامل، وقد يكون هذا الفريق فردًا أو عائلة أو قبيلة أو أية مجموعة من الناس تتصرف كفريق واحد، كأن يكونوا أفراداً ذوى مهنة واحدة كالنجارين أو الحدادين.

أما الخطة: فهى الموقع المختط، وهى التى قد تحوى خططًا أصغر منها تسيطر عليها فرق مستوطنة أصغر.

وفيما يتعلق بتخطيط الممالك الشامية يتضح ذلك مما يلى:

المملكة الأولى : دمشق:

وهى تنقسم إلى برها (نواحيها) وأربع صفقات (أقسام)، الأولى: ساحلية وجبلية، أما الناحية الساحلية فهى على ساحل بحر الروم وتشمل أربعة أعمال ـ مايكون تحت حكم المركز ويضاف إليه ـ وهى: غزة، والرملة، واللد، وقاقون، أما الناحية الجبلية ففيها ثلاثة أعمال هى: القدس، وجيرون، ونابلس.

---

(١) جميل عبد القادر ، عمارة الأرض ، ص ١٨٢ .

الصفقة الثانية: القبلية، وتشتمل على عشرة أعمال، وهى: بيسان، بانياس، المقوى، نوى، أذرعات، عجلون، الباعونة، رخد، بصرى، أذرع.

الصفقة الثالثة: الشمالية، وهى تنقسم إلى ساحلية وجبلية، وتشتمل على خمسة أعمال هى: بعلبك، البقاع البعلبكى، القاع العزيزى، محل بيروت، وصيدا.

الصفقة الرابعة: الشرقية وهى تشتمل على ستة أعمال، وهى: حمص، مصياب، قارا (قارة)، مسلمية، تدمر، الرحيبة.

وأرباب الأمور فى دمشق تنقسم إلى أربعة أنواع:

الأول : النيابات، وهى ثلاث طبقات: غزة، القدس، والصراة.

الثانى : سقط فى أصل المخطوطة.

الثالث: الولايات وهى ثلاث طبقات: نابلس، بيروت، صيدا.

الرابع : العربان وهم سبع قبائل: أهمها:

آل ربيعة، بنو فهدى، زبيد، بنو خالد، نجرنة.

المملكة الثانية : حلب:

فيما يختص بما هو خارج عن محازة حلب، وداخل فى مملكتها من المدن والقرى والقلاع؛ فهو على ثلاثة أنواع:

الأول : فيما هو داخل فى بلاد الشام، وهى سبعة وعشرون عملاً:

برها (نواحيها) بهنسا، قلعة للمسلمين، عنتاب، اللاوندار، كختا، كركر، الديرساك، بقراط، القصر، السقرا وبكاش، حجر سيلان، أبى قبيس، جادة، فامية، سرقين، الجبول، جبل سمعان، عزاز، تل باث، منيح، تيزين، الباشب وبزاعة، دركوش، أنطاكية.

الثانى : بلاد الأذن وتشتمل على ثمانية أعمال وهى:

إياس، طرسوس، أدنة، الصرفندكار، السيس، ملطية، زندة، ديرك (دورك)، وأيلستين، وبها ثمان قلاع هى: حكرون، كادرا، كولاك، كوزال، تل جيرون، الهرونية، نجمة، ولؤلؤة قلعة لطيفة.

الثالث : ما أضيف إليها من بلاد الجزيرة الفراتية، وهى ثلاثة أعمال هى: الريدة، قلعة جعبر، الدها.

فيما هو خارج عن ثغرة حلب من النيابات والولايات فهى على أربعة أنواع:

الأول : النيابات، وهى أربعة طبقات:

معدة من الأول وهى ثمان أبواب هى: نيابة قلعة المسلمين، نيابة أبلستين، نيابة آياس، نيابة طرسوس، نيابة سيس، نيابة البيرة.

طبقة أمراء الطبل خاناه، وهى ست نيابات: كختا، كركر، البهسنى، درنده، جعبر، ملطية.

أمراء الفرات وهى تسع نيابات: عينتاب، الراوندان، الدربساك، بغراص، القصير، الشعروبكاش، شيزر، دركى.

نيابة مقدمى الحلبية : قارا - كاورا - وكولاك - دركوش - تل حمدون - الهارونيتين - نجمة، وحميص ذ قلعة لؤلؤة.

الثانى: فيما هو خارج عن الإمرة، والمشهور منها اثنا عشر ولاية سرها (والى الولاة): كفر طاب سرمين، الجبول، تل سمعان، قلعة الكرزالية، عزاز، تل باشر، السنح، تيزين، وزاعة، ودركوش، أنطاكية.

الثالث: ما هو خارج عن محاذاة حلب (العربان) وهم بنو كلاب، آل ياسر.

الرابع : فيما هو خارج عن مملكة حلب (التركمان) وهم طوائف كثيرة، أشهرها سبعة، وهى: الدلغادرية، الأوجقية، الأوزرية، الأساورية، الورسقى، الكبكية.

ثالثا : مفهوم الإدارة:

المقصود بالإدارة هنا هو أسلوب إدارة الممالك الشامية، وكيفية القيام بمهام تيسير الحكم فيها، وتنظيم الوظائف الحكومية وتقسيمها وما يتعلق بالمناصب العامة، ونوضح ذلك فيما يلى[1]:

١ - دمشق : نائب دمشق يعد بمثابة الكافل فى مصر آنذاك، ويلقب النائب بـ «كافل السلطنة الشريفة» وتقليده من أعظم التقاليد، وللنائب حاشية مثل حاشية السلطان.

وبدمشق نائب قلعة ينفرد عن نائبها، وهو لا يسلم مفاتيح القلعة إلا لمن يتولى المنصب بعده يدًا بيد ومن يأمر له السلطان بذلك، ويوجد للقلعة جنود للطوارئ.

وبالمدينة ثمانية أمراء، أحدهم الأمير الكبير وهو يشارك النائب فى رأى المهمات الشريفة ويلى النيابة بعد النائب، ولكن هذا الأمر بطل فى قانون دولة بنى عثمان.

وبالمدينة واحد وعشرون أميرًا من أمراء الطبل خاناه (السلطنة). وبها صاحب الحجاب بدار العدل، ويحل محل النائب إذا غاب ولم يستتب الأمير

(١) كافل الممالك الإسلامية وهو يحكم فى كل ما يحكم فيه السلطان وتُعلَّم فى التقاليد والتوقيع والمناشير وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يُعلِّم عليه السلطان وسائر النواب لا يعلم الرجل منهم إلا ما يتعلق بخاصة نيابته. صبح الأعشى (٤ / ١٦ - ١٧).

الكبير، وإذا أمر السلطان بالقبض على أحد الكبار، كان صاحب الحجاب هو المتصدى لذلك، وهو يتولى الصرف على ما يستحق فى المدينة، ويرسل الباقى للخزائن السلطانية.

وبالمدينة نقيب الجيش، وبها المهمندار[1] وأمير أخور الشيزيدار، وبها شاد الدواوين[2]، وشاد المهمات[3]، وقد بطلوا.

وبها والى الشرطة الذى يحكم بموجب القصاص والجنايات.

ومن المناصب الدينية منصب القاضى، وكان أمثلهم من المذاهب الأربعة القاضى الشافعى، أما فى دولة الأروام[4]: فكان الأمثل هو القاضى الحنفى، ويحضر مع المدرسين وقت الديوان دون غيره.

وبالمدينة وكيل بيت المال، وبها نقابة الأشراف ويتولاها صاحبها بتوقيع شريف، وبها شيخ الشيوخ وهى من الوظائف الجليلة.

وبالمدينة من الوظائف الديوانية: كاتم السر، وله أتباع يكتبون كتاب المجلس، وكتاب الدرج بالمملكة.

وبها ناظر خزائن السلاح وهو المسئول عن الخزائن الشريفة للقلعة بدمشق. وكان بها ناظر المهمات، وناظر الخزنة وناظر السيوف، وناظر مراكزهم والسديد (الدروع والحلق).

---

(١) وهو من يتلقى الرسل الواردين وأمراء العربان وغيرهم ممن يرد من أهل المملكة وغيرها صبح الأعشى (٢٢/٤).

(٢) وهي مرافقة الوزير متحدثًا فى استخلاص الأموال وما فى معنى ذلك وعاداتها إمرة عشرة صبح الأعشى (٢٢/٤).

(٣) هي رتبة جليلة وموضوعها التحدث فى أمور الاحتياجات السلطانية وتارة لنائب السلطنة بدمشق وتارة لحاجب الحجاب وتارة لبعض الأمراء من المقدمين والطبلخانات بحسب ما يقتضيه رأى السلطان. صبح الأعشى (٤ / ١٨٦).

(٤) ولعل المقصود به دولة الروم البيزنطيين.

وبهـا أيضًـا خـزانـة الطب، وجـراح باشـا، وحكيم بـاشـا وشـرطه أن يكون مسلمًا، وهو إلى الآن.

٢ ـ حلب : وهى تتشابه مع دمشق فى انقسام عـساكرها إلى الأمير الكبير، وبها مقدمو الألوف من الحاجب، ودودار[١] السلطان.. وغيرهم وتأتى نيابة حلب فى المرتبة الثـانية بعـد دمشق، ونائبهـا لا يعرف بكافل السلطنة مـثل نائب دمشق، ويشـملهـا الخط الشـريف، ويكتب من الـتواقـيع الكـريمة، ويكتب على مـا يتـعلق بنيابته بالمراسم الشريفة.

ولقلعتها نائـب أمير طبل خانة[٢]، وأصبح بـعد ذلك بمنزلة مـقدم عـشرة أو خمـسة، وهو لا يدخل تحت حكم نائب السـلطنة، وولايته من الأبواب الشـريفة، وله مرسوم شريف. وللقلعة نحو أربعون جنديًا بحريًا لحراستها.

ولحلب أمير كـبير وحاجب كبيـر أيضًا، وبها حجاب أكـثرهم بطبل خاناه، وكل من الحاجبين أمير عشرة، وبها شاد الدواوين ووالٍ.

أما الوظائف الـدينية فى حلب: فمنـها قضـاة القضاء، حيث يكون من كل مذهب قـاض، ولها قـاضيان عـسكر حنفى وشافـعى، وفى عهد بنـى عثمـان كان حنفـيًا، وولاية الـقضـاة من الأبواب الشـريفة بتشـاريف وتواقـيع، وكان القـاضى

(١) وموضوع عمل هذا تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامـة الأمور، وتقديم القصص إليه والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف وتقديم البريد ونحو ذلك. ينظر صبح الأعشى(١٩/٤) .

(٢) ومعناه بيت الطبل، ويشتمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات، ويحكم على ذلك أمير من أمراء العشـرات يقف عليهـا عند ضربها فى كل ليلـة ويتولى أمرها فى السـفر، ولها مـهتار مـتسلم لحـواصلها يعـرف بمهتـار الطبلخـانة وله رجال تحت يده مـا بين دبندار وهو الذى يضـرب على الطبل، ومنفـر وهو الذى يضرب بالبـوق، وكوس وهو الذى يضـرب بالصنوج النحاس بعضـها على بعض وغـير أولئك من الصناع صبح الأعشى(١٣/٤) .

يستقبل فى موكب حافل، ولكن هذا الأمر توقف بعد ذلك، ولم يعد يعمل للقاضى. وبها أيضًا مفتيان ـ حنفى وشافعى ـ يسميان مفتيا دار العدل الشريف.

وبها وكيل بيت المال، وتكون ولايته من الأبواب الشريفة، وبها وظيفة الحسبة، وبها نقابة الأشراف.

وبها بعض من الوظائف الديوانية كعامة السر وناظر الحبس وناظر القلعة.

ومن أصحاب الوظائف القياسية بها: رياسة الطب (حكيم باشا) ورياسة المكحل[(١)]، ورياسة الجرائحية.

وفى موكب النائب يتم تنظيم الحضور كل على حسب رتبته من الأمراء وأرباب الوظائف وغيرهم.

وكان يحضر المجلس القاضيان الشافعى يليه الحنفى ثم أصبح الحنفى فقط، أما القضاة الثلاثة فلا يجالسون الحكام، وبعد ذلك أصبحوا يجالسونهم فى الدواوين إلا المفتى الحنفى والمدرسين.

ويأخذ الموكب شكل الحلقة المستديرة، ويتناولون الطعام كل حسب رتبته.

النقد والتحليل

فى البداية، وقبل أن نعرض لعملية نقد الكتاب الذى بين أيدينا ـ أو الرسالة ـ على حد تعبير المؤلف ـ تجدر الإشارة إلى أن المقصود بنقد الكتاب وتقييمه ليس هو أن نحاكم الكتاب إلى مفاهيم وتصورات حاضرنا، أو أن نفتئت على المؤلف ونحمِّل عباراته ما لم تحتمل فهذا بهتان عظيم.

---

(١) أي الكحالين. ينظر صبح الأعشى(١٩٤/٤) .

غاية الأمر أن الكتاب - وحيث إنه يقع ضمن الكتب التاريخية - كان لا بد من قراءته قراءة تحليلية وتمحيصه تمحيصًا نقديًا؛ لنعرف تراثنا ونفهمه ونعيه ثم نتعلم منه ونستفيد من خبرته.

فتراثنا جزء منا لا سبيل لنا إلى إنكاره أو الإعراض عنه، وإن نهضة حضارية تنكر الماضى وتستدبر التراث لهى نهضة عرجاء تسير على قدم واحدة. فاستلهام الماضى والإفادة من التراث جزء أصيل من البعث الثقافى والنهوض الحضارى الذى نرجوه للأمة الإسلامية.

وإذا كان إجماع المثقفين والمفكرين الإسلاميين منعقد على ضرورة استلهام الماضى وقراءة التراث والعناية به، فإن الخلاف بينهم يحتدم والجدل يتصاعد حين يكون الحديث عن جوهر هذه القراءة للتراث كيف تكون؟

وفى رأينا أن القراءة السليمة للتراث ينبغى أن تنهض على أسس من التأمل والتفكير دون متابعة كلية أو تسليم مطلق بما أثر عن السلف من آراء لمجرد سلفيته أو تراثيته ففى التراث جوانب مشرقة يمكننا أن نستلهمها وننتفع بها فى حياتنا المعاصرة، كما أن فيه الغث قليل القيمة الذى يعد مجرد الالتفات إليه وتصور الاستناد إلى أبعاده وقسماته سفهًا عقليًا وفسادًا إدراكيًا.

صفوة القول أنه لا سبيل إلى فصل الماضى عن الحاضر والمستقبل، فالمستقبل ماض آت، والماضى مستقبل ولّى.

ولا بد أن نؤكد أننا لا نحاكم التراث بلغة عصرنا، كما أننا لم نأت بالتراث ليحاكم عصرنا، فالمسألة ليست بهذه الحدة فهناك تفاعل وتعايش بين الماضى والحاضر والمستقبل، وكلها حلقات فى عمر الزمن كل منها يفضى إلى الآخر يتأثر به، ويؤثر فيه.

وفى ضوء ذلك نبدأ فى عرض رؤيتنا النقدية للكتاب.

نتعرض هنا فى نقد الكتاب إلى النقد بجانبيه الإيجابى والسلبى ونستفيد من كليهما فى إلقاء مزيد من الضوء على الكتاب وما يمكن أن نستفيده منه، وما نرده عليه فلا نعمل به، وفيما يلى تفصيل ذلك:

حول مزايا الكتاب:

المنهج : من أهم ما جاء به المؤلف فى كتابه هو أن طرح أمامنا منهجًا واضحًا فى تناوله للكتاب، وأقصد بالمنهج هنا أسلوب معالجة المؤلف لموضوع الكتاب، أى الخطوات التى سار عليها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أشير إلى المنهج بمعنى الاقتراب الذى عالج به المؤلف الموضوع.

فيما يتعلق بخطوات المؤلف وأسلوبه فى معالجة الكتاب: نجد أنه عمل وفقاً لخطوات منهجية منظمة؛ فقد بدأ بالحمد والثناء على الله، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد ﷺ، وأوضح إلى من يوجه رسالته، فعملية الاتصال لا بد لها من مرسل ومستقبل وموضوع يتم إرساله، والمؤلف هنا هو المرسل، والمستقبل هو الوزير.

أما المادة المرسلة فهى عن الشام، ومحاسنها، ومواكبها.

كما أوضح المؤلف دوافعه لتأليف الكتاب، وإن كان لم يتضح إن كان طلب إليه تأليف الكتاب، أم أنه تطوع بتأليفه وإهدائه إلى الوزير، وأكثر الظن أنه تطوع به حبًا فى أن يسجل رسالة عن محاسن الشام التى أحبها.

ويذكر المؤلف بعد ذلك مراجعه التى عاد إليها واستقى منها هذه الرسالة. ثم يوضح أنه سيبدأ بدمشق وذكر ما بها من محاسن ومواكب، وأخيراً يذكر عنوان المؤلف الذى أسماه : « **المواكب الإسلامية فى الممالك والمحاسن الشامية** » .

أما عن المنهج بمعنى الاقتراب الذى عالج به المؤلف موضوع الكتاب، فهو هنا المنهج الوصفى التحليلى، حيث انكب المؤلف على وصف الشام ومحاسنها

ومواكبها بدقة متناهية وبتفصيل شديد، يعبر ـ من خلاله ـ عن إعجابه الشديد بجمال كل ما فى الشام من مبان ومتنزهات ونباتات ، كما أكثر من الأبيات الشعرية التى تزيد من عمق الإحساس بجمال الشام ، وتوضح حب المؤلف الشديد ـ المكنون والواضح فى نفس الوقت ـ للشام ولا تكاد توجد صفحة خالية من الأبيات الشعرية التى تتغزل فى محاسن الشام.

وهكذا نجح المؤلف فى تقديم منهج واضح، يمكن من خلاله دراسة ما جاء به فى هذه الرسالة. أى أننا نحصل على إفادة من الكتاب فيما يتعلق بالمنهج .

المفاهيم : إذا أنعمنا النظر فى الكتاب أدركنا أن المؤلف ينطلق من ثلاثة مفاهيم أساسية وهى: التخطيط، العمران، الإدارة.

هذه المفاهيم الثلاثة لا ينفصل بعضها عن البعض، بل على العكس فهى متسقة مع بعضها وتبلور فى النهاية الكتاب من خلال هذه الزوايا الثلاث المرتبطة بالمفاهيم. أى أننا أمام شبكة من المفاهيم المتسقة، يصلح كل منها أن يكون مفتاحًا ندخل به إلى دهاليز الكتاب.

فالعمران يرتبط بالبناء والزراعة والتجمعات البشرية، والتخطيط هو تقسيم المكان، والإدارة هى أسلوب حكم المكان، وكل هذه المفاهيم ترتبط ببعضها بشكل أو بآخر.

وأكثر ما عرض له المؤلف مفهوم العمران، وهو يرتبط بعمارة الأرض أيضًا وإحياء الأرض البوار أو الخراب.

والكاتب هنا لم يعلن لفظًا أنه يتحدث عن العمران أو التخطيط أو الإدارة، ولكنه عبر عن المفهوم بمدلولات دونما استخدام لفظ عمران أو تخطيط أو إدارة. وعدم الاستخدام اللفظى هنا ليس دليلاً على عدم الوجود، بل على العكس فقد

يكون المؤلف سكت عن ذلك لوضوح ما يتكلم عنه وعدم حاجته إلى أن يذكر من يقرأ أنه يتناول هذه المفاهيم التى تتحدث عن نفسها دونما استخدام المفهوم لفظيًا.

التأريخ : مؤلف الكتاب هنا ليس مؤلفًا عاديًا فهو مؤرخ وله خبرة أيضًا ببعض العلوم وهذا يساعد على عملية التأريخ بشكل أفضل وأكثر دقة، والمؤلف هنا يقوم بتأريخ تاريخ الشام فى ظل الدولة العثمانية، وهى فترة هامة لا يمكن أن يغفل عنها التاريخ.

ويجب أن ننبه إلى نقطة هامة لقارئ هذا الكتاب أن الفترة التاريخية التي تناولها مؤلف الكتاب هي فترة سيطر على عقول الناس التصوف بطرقه المختلفة ممزوجة بالخرافات والبدع والانحرافات عن العقيدة الإسلامية ولم يستطع مؤرخي هذه الفترة أن ينجوا من هذا الواقع الأليم بالرغم من غزارة علمهم واتساع ثقافتهم وما نجده في مؤلفات هؤلاء المؤرخين والعلماء من ميل لتقبل هذه الخرافات والأساطير ما هو إلا انعكاس لمؤثرات العصر على إنتاجهم الفكري.

ومؤلف الكتاب يركز على تاريخ العمارة والأماكن التى خربت، وما أعيد تجديده منها، ولا يمكن إغفال العامل النفسى لإثارة موضوع خراب بعض المحاسن الشامية التى يحلل الكاتب أسباب خرابها، ويرجع ذلك إلى كثرة الحروب والفتن التى أتت على جمال العمران فى هذه الأماكن، وهو يذكر من ذلك على سبيل المثال فتنة التيمورلنك.

والمؤلف هنا ـ لشدة حبه للشام ـ يهتم جدًا بأسباب الخراب، وكأنه يعرضها للاعتبار والعظة حتى لا تكون الحروب والفتن سببًا فى القضاء على الأخضر واليابس.

وهكذا يمكن أن نعتبر الكتاب سجلاً لتاريخ الشام فى تلك الفترة بما يتضمنه اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا ومعماريًا.

الخرائط: يمكن أن نستفيد من الكتاب برسم خرائط تفصيلية للممالك الشامية المذكورة: (دمشق، حلب، حماة، طرابلس، صفد)، بالإضافة للإقليمين الآخرين غزة والكرك.

وهذه الخرائط هامة جدًا فى فهم الكتاب وقد أرفق توضيح بذلك بعد تقييم الكتاب[1].

الزراعة: يقدم الكتاب فيما يتعلق بالزراعة فى الشام ما يمكن أن نعتبره موسوعة زراعية، فقد عدَّد أشكال وألوان المزروعات المختلفة وأسلوب زراعتها والاهتمام بها، ومعالجة ما قد يصيبها من آفات والبيئة الملائمة للزراعة.

بل وفى الطب والعلاج أيضا استطاع المؤلف أن يصف الكثير من العلاجات لأمراض كثيرة عن طريق العلاج بالأعشاب والنباتات، وهى فائدة كبرى فى مجال الطب.

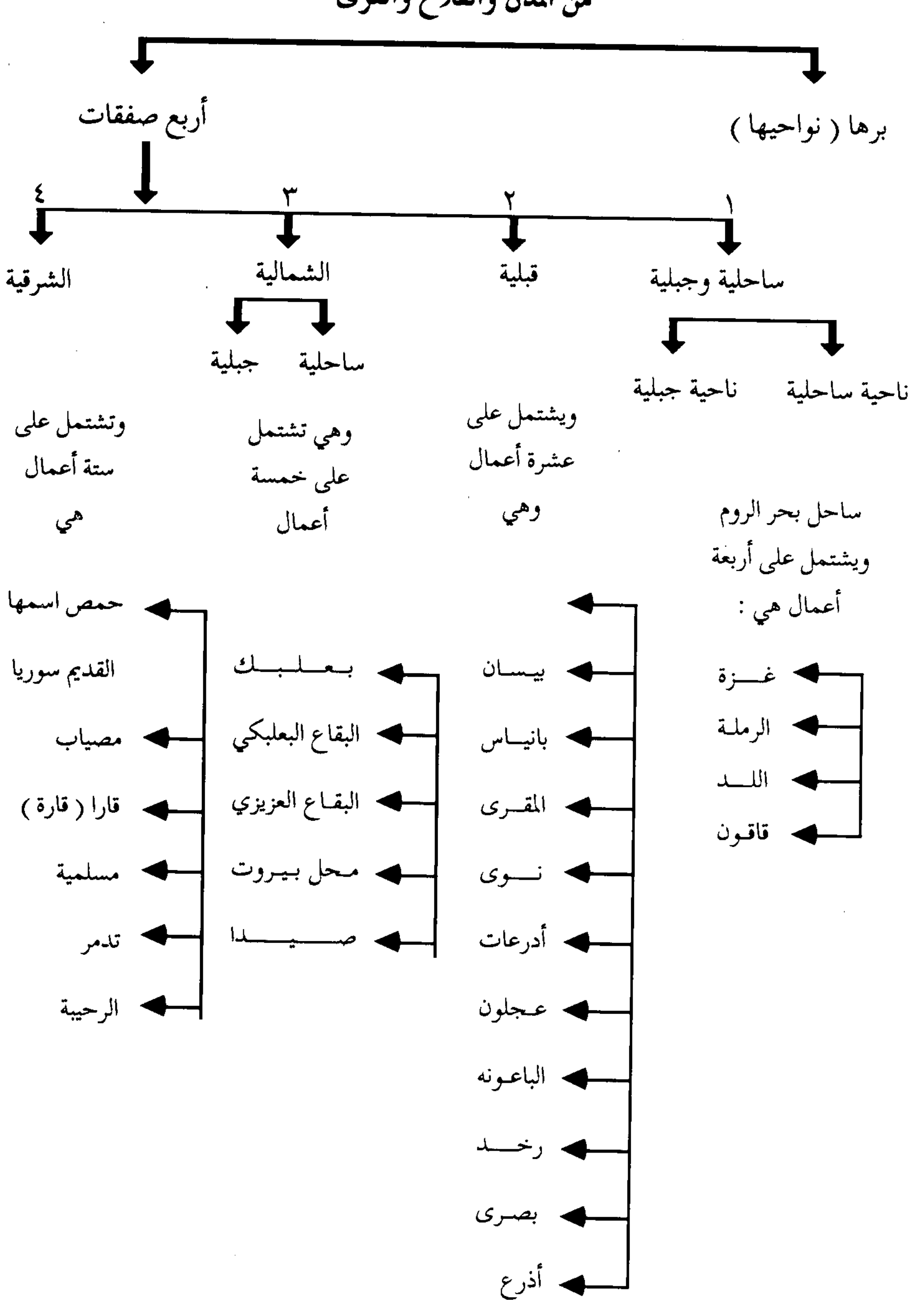
---

(١) هذه الخرائط التوضيحية صيغت بناء على ما جاء فى المؤلف.

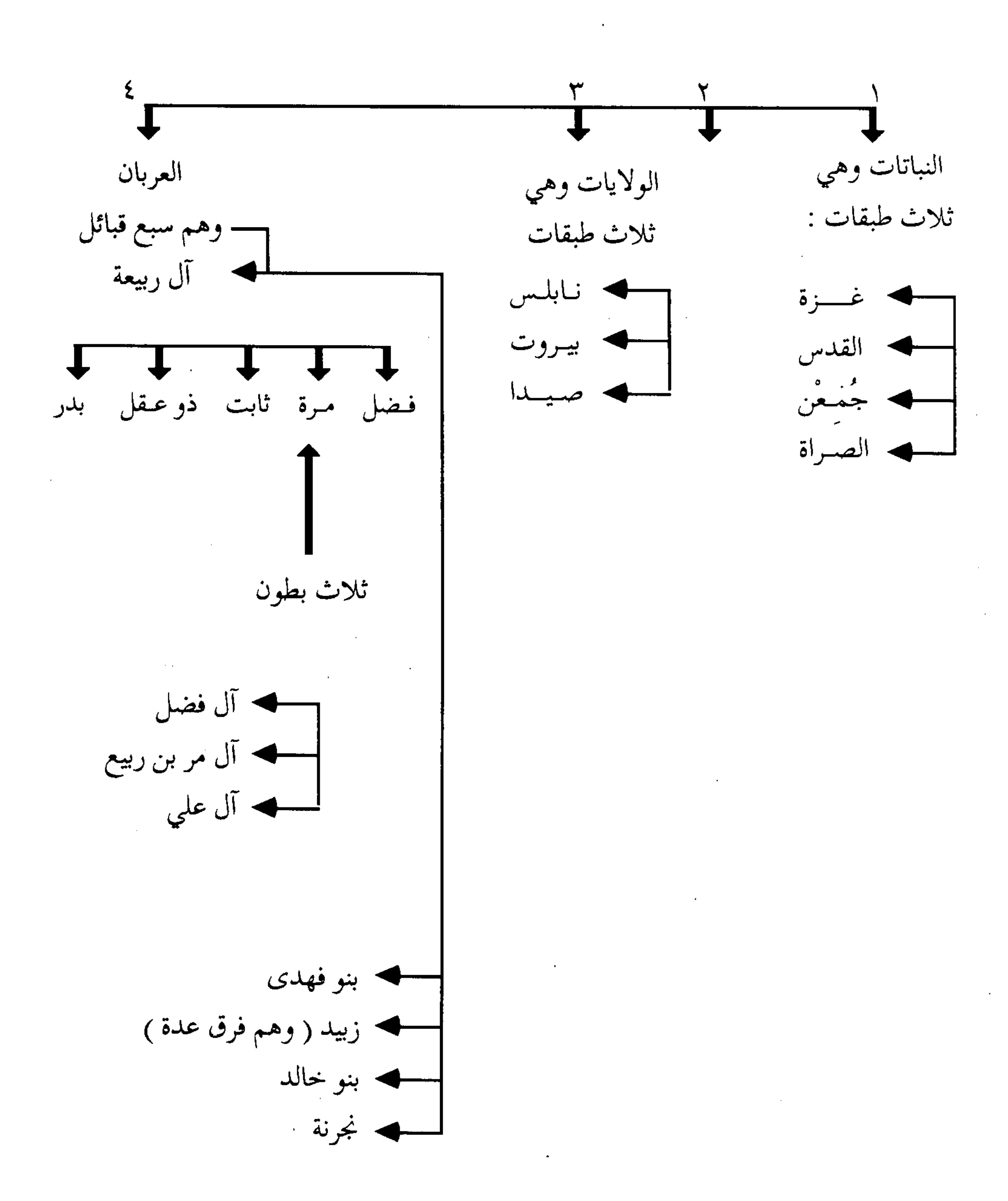
الخرائط التوضيحيـــة

ماهو خارج محاذاة دمشق

من المدن والقلاع والقرى



أرباب الأمـــور في دمشق
وهي أربعـــة أنـــوع



حلب

ما هو خارج عن محاذاتها (وهم ثلاثة أنواع)

ما هو داخل في بلاد الشامية وهي سبعة وعشرين عملاً

١ عمل برها (نواحيها)
٢ عمل بهنسا
٣ عمل قلعة للمسلمين
٤ عمل عنتاب
٥ عمل اللاوندار
٦ عمل كختا
٧ عمل كركر
٨ عمل الديرساك
٩ عمل بقراط
١٠ عمل القصر
١١ عمل السقرا وبكاش
١٢ عمل حجر سيلان
١٣ عمل أبي قبيس
١٤ عمل جارة
١٥ عمل كزطاب
١٦ عمل فامية (أفامية)
١٧ عمل سرقين (الفرميات)
١٨ عمل الجبول
١٩ عمل جبل سمعان
٢٠ عمل عزاز (أعزاز)
٢١ عمل تل باث
٢٢ عمل منج
٢٣ عمل تيزين
٢٤ عمل الباشب وبزاعة
٢٥ عمل دركوش
٢٦ عمل أنطاكية
٢٧ عمل ؟

بلاد الأذن وتشتمل على ثمانية أعمال

١ عمل إياس
٢ عمل طرسوس
٣ عمل أدنة
٤ عمل الصرفندار
٥ عمل السيس
٦ عمل منصية
٧ عمل [illegible]
٨ عمل [illegible]
٩ عمل [illegible]

وبها ثمان قلاع

١ قلعة حكرون
٢ قلعة كادرا
٣ قلعة كولاك
٤ قلعة كرزال
٥ قلعة تل جيرون
٦ قلعة الهرونية
٧ قلعة نجمة
٨ قلعة لؤلؤة قلعة لطيفة

ما أضيف إليها من بلاد الجزيرة الفراتية وهي ثلاثة أعمال

١ عمل الريدة
٢ عمل قلعة جعبر
٣ عمل الرها

ما هو خارج عن ثغرة حلب من النيابات والولايات

وهي أربع أنواع

النيابات

وهي على ثلاثة طبقات

١ - معدة من الأول وهي ثماني أبواب

١ - نيابة قلعة المسلمين
٢ - نيابة أيلستين
٣ - نيابة إياس
٤ - نيابة طرسوس
٥ - نيابة سيس
٦ - نيابة البيرة

٢ - طبقة أمراء الطبل خاناه وهي ست نيابات

١ - كتغا
٢ - الفرات
٣ - الهنيا
٤ - درندان
٥ - جعبر
٦ - ملطية

٣ - أمراء الفرات وهي تسع نيابات

١ - عنتاب
٢ - الراوندان
٣ - الدرنسياك
٤ - معرا
٥ - التقير
٦ - القروبكاس
٧ - سترز
٨ - دركي
٩ - ؟

٤ - الطبقة الرابعة :

نيابة مقدمي الحلبية - قارا - كادرا - دكرلاك - كريشي - كل حمدون - المهاتقين - نجمة حمص - قلعة لؤلؤة

(ولايات)

مما هو خارج عن الإمرة ويوليها نائب حلب وغالبها أجناد والمشهور اثنا عشر ولاية:

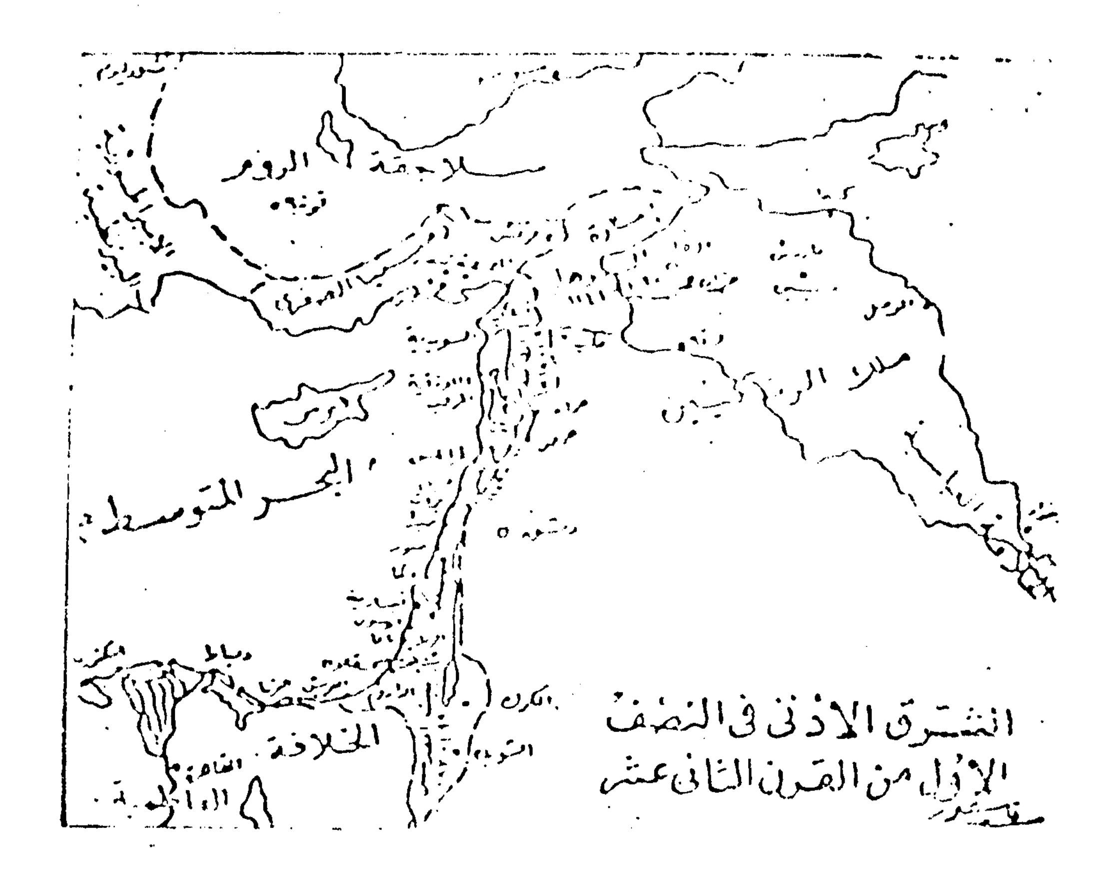
١ سرها (والي الولاة)
٢ كفر طاب سيرتين
٣ الجبول
٤ تل سمعان
٥ قلعة الرازلية
٦ عزاز
٧ تل باسر
٨ السنح
٩ تيزين
١ الباب
١١ وزاعة
١٢ دكوش
١٢ أنطاكية

ما هو خارج عن محاذاة حلب (العربان)

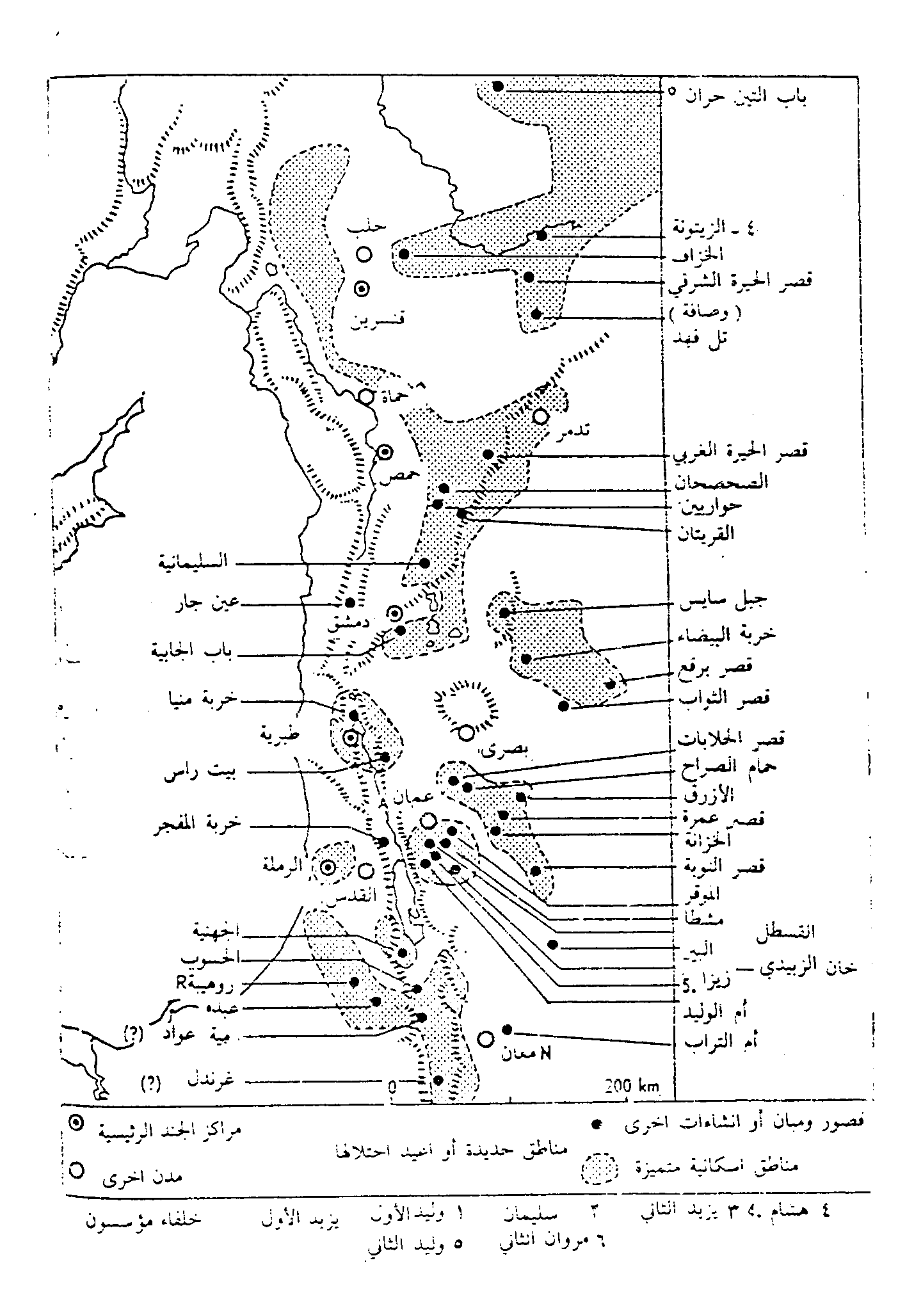
١ - بنو كلاب
٢ - آل ياسر

مما هو خارج عن مملكة حلب (التركمان) وهم طوائف كثيرة والمشهور منهم سبعة

١ - الدلفارية
٢ - الأوجفية
٣ - الأوزية
٤ - ؟ (ساقطة في المخطوطة)
٥ - الأشاورية
٦ - المورسق
٧ - الكبكية



الشرق الأدنى في النصف الأول من القرن الثاني
عن كتاب الحركة الصليبية
للدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور



الخريطة ٦ ـ سوريا الأموية

دراسات في حضارة الإسلام

تأليف / هاملتون جب

ترجمة الدكتور / إحسان عباس وآخرون

ترجمة المؤلف

اسمه : محمد بن عيسى بن محمود بن كنان، الحنبلى، الصالحى الدمشقى، الخلوتى، يقال له: ابن زين التقاة[1].

مولده : ولد بمنطقة الصالحية بدمشق سنة ١٠٧٤هـ / ١٦٦٣م .

وقد نشأ ابن زين التقاه في بيت علم ونشأ فى كنف والده حيث شغف بالعلم منذ صغره وجد واجتهد في تحصيل العلوم فقرأ على والده عيسى بن محمود وعلى غيره من العلماء كالشيخ خليل الموصلى، قرأ عليه حصة من جمع الجوامع فى الأصول، والرسالة الأندلسية فى العروض، وغيره من العلماء الأجلاء.

وكان لهؤلاء العلماء والشيوخ الذين درس على يديهم أثر في نبوغه في عدة علوم وفنون حيث برع في علم الأصول والحديث والتاريخ حتى أصبح شيخاً وتصدر للتدريس ولزم مكان والده وأقبل عليه طلاب العلم لينهلوا من علمه فلازموه

وقام برحلات علمية من بينها بلاد الحجاز حيث اجتمع فى المدينة المنورة بالشيخ إبراهيم بن حسن الكورانى، وأخذ عنه الحديث.

قال المرادى : وهو (ابن كنان) أحد العلماء الأتقياء والصلحاء العاملين ، لما توفى والده صار مكانه شيخًا واستقام إلى أن مات، ولازم الأذكار وألف التاريخ الذى جمعه بالحوادث اليومية، وقد طالعته واستفدت منه.

ويلاحظ أن كتب التراجم التي ترجمت لابن زين التقاه لم تعطينا ترجمة مفصلة عن حياة هذا العالم الجليل .

---

(١) انظر ترجمته في الكتب الآتية ، المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، جـ٤ ، ص ٨٥ ، الزركلي : الإعلام ، جـ ٦ ، ص ٣٢٣ ، كحالة : معجم المؤلفين جـ ٣ ، ص ٥٧٧، البغدادي : هدية العارفين ، جـ ٢ ، ص ٣٢٥ ، وكتابه الآخر كشف الظنون ٣٢٥/٦ .

ولم يتوفى ابن زين التقاة سنة ١١٥٣هـ إلا وقد خلف لنا حصيلة علمية كبيرة أفادت طلاب العلم الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده ومن هذه المؤلفات التي تدل على فضله وعلمه الغزير تصانيفه النافعة التي صنفها وقد وقفنا منها على ما يلي :

كتاب الإكتفاء في مصطلح الملوك والخلفاء .

وكتاب الإلمام فيما يتعلق بالحيوان من الإحكام .

وكتاب الأنوار المتبهجة على منظومة المنفرجة .

وكتاب البيان والصراحة بتلخيص الملاحة في علم الفلاحة .

وكتاب التنبيه على غلط الجاهل والنبيه .

وكتاب حدائق الياسمين في مصطلح قوانين الخلفاء والسلاطين .

وكتاب الحوادث اليومية من تاريخ إحدى عشر ومائة .

ورسالة الأشباه برفع الاشتباه .

والرسالة المشتملة على أنواع البديع في البسملة .

وكتاب زهر البان في نعوت الحيوان .

وكتاب الزهور البهية في شرح الرسالة الأصول الفقهية

وكتاب زين البساتين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين .

وكتاب زين الربيع في علم المعاني والبيان والبديع .

وكتاب الدر المنضد في أصحاب الإمام أحمد .

وشرح قصيدة بانت سعاد .

وكتاب كوكب الملك في دولة الترك .

وكتاب لسان النظام في شرح منظومة ابن الشحنة الإمام .

وكتاب معاهد العلم في دمشق .

وكتاب المحاسن المرتبة في الأودية المجرية .

وكتاب المروج السندسية الفيحية بتاريخ الصالحية .

وكتاب المعاني المرضية على الشمعة المضيئة .

وكتاب مكارم الأخلاق لأهل مكارم الأخلاق .

وكتاب المواكب الإسلامية في المحاسن الشامية .

وكتاب نزهة النفوس ودفتر العلم وروضة العروس .

وقد توفى رحمه الله بدمشق ودفن بسفح جبل قاسيون وبوفاته فقدت دمشق آنذاك عالماً وقطباً من أقطابها .

منهج التحقيق

أولاً : اعتمدنا في التحقيق على مصورة المخطوطة الوحيدة التي وجدت من هذا الكتاب، وهي محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٣٥٠١ وهي مكتوبة بخط نسخ عادي واضح الحروف، قليل النقط، لا يخلوا من أخطاء. والنسخة تقع في ١٨٢ورقة، كل ورقة بها ٢٣ سطراً، ومتوسط كلمات السطر حوالي ١٤ كلمة ، وخطت المخطوطة بخط الناسخ : محمد بن إبراهيم ابن السيد حمد العجلوني، وكان الفراغ من نسخها سنة ١٢٠٤هـ.

ثانياً: ضبط النص ، واستدراك السقط، وتصحيح التحريف ببعض الكلمات .

ثالثاً : خرجت الأحاديث التي وردت في الكتاب .

رابعاً : عزوت الآيات التي وردت في الكتاب إلى سورها في القرآن الكريم ، مع الترقيم .

خامساً : وضعت لكل ترجمة ما تيسر من مصادر مطبوعة حتى يرجع القارئ إلى بغيته بسهولة ويسر .

سادساً : ضبطت من الألفاظ والمصطلحات الغريبة ما يحتاج إلى ضبط حتى لا تلتبس قراءته . .

سابعاً : عرفت ببعض الأعلام التي وردت أسماؤهم أو كناهم وكان الأمر يستدعي التعريف بهم .

ثامناً : التعريف بالمواضع والأماكن التي يورد ذكرها المؤلف .

تاسعاً : وضعت فهرس تفصيلي للمحتويات .

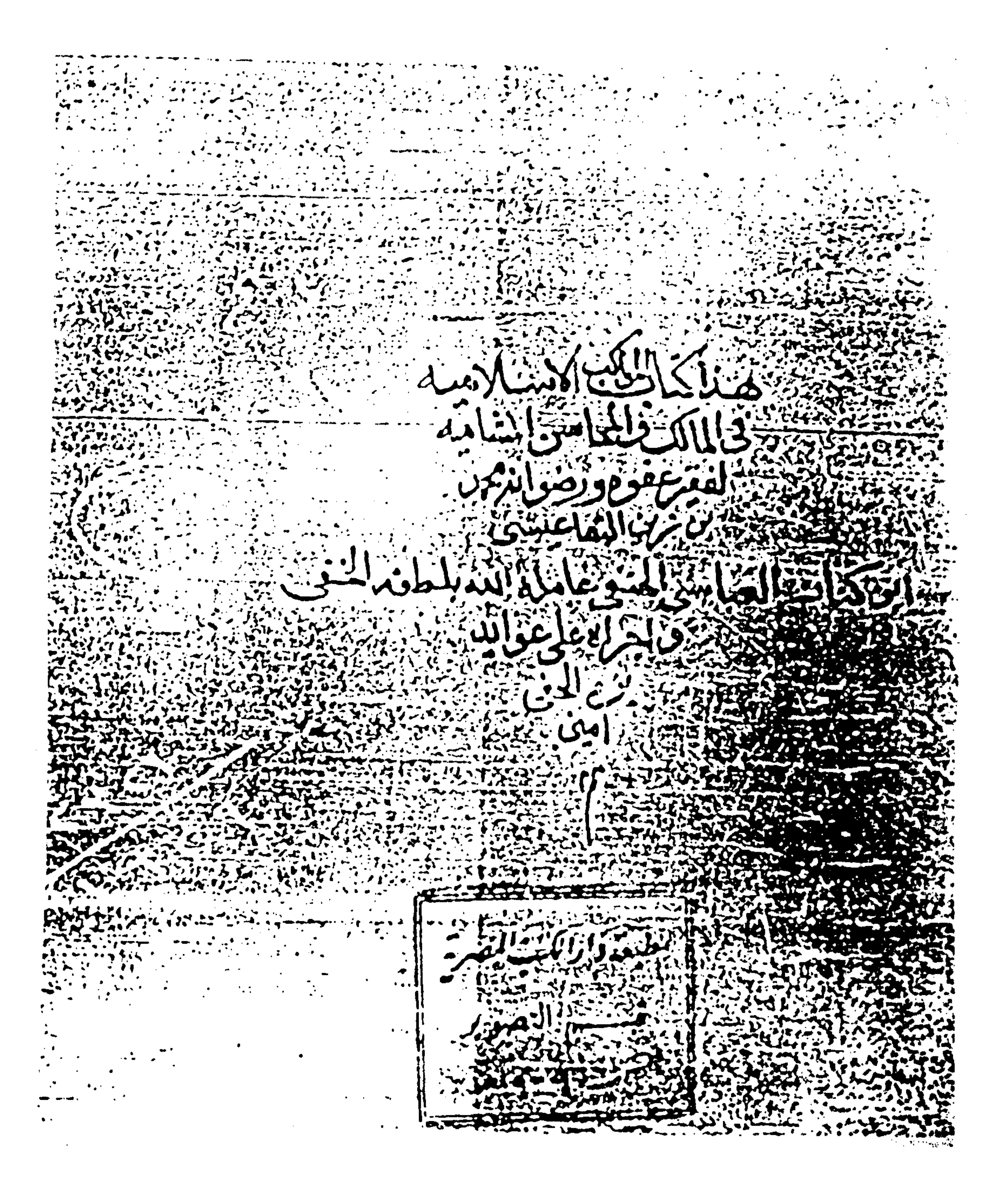
هذا وإني لأرجو أن يكون ما قمت به هو أقصى ما يمكن من جهد في تحقيق النص واجتهاد في تأليف ما سقط من المخطوطة ، واستقصاء للمصادر والمراجع التي رجع إليها المؤلف فأشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه وأدعوا الله أن يهبني السداد والتوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير .

١٥ رمضان ١٤٢١هـ

المحقق

د . بند بن محمد الهمزاني

الصورة الأولى من المخطوط


هذا كتاب الكوكب الاسلاميه
في الممالك والمحاسن الشاميه
لفقير عفوه ورضوانه محمد
بن زين الهماعيسى
الرو كتاب العباسي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي
والجراء على عوائده
الحسنى
امين

الصورة الثانية من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من أيد كلمة الإسلام بخير ناصر، ومؤيد دعائم الإسلام بالمبين
الباتر من آياته [illegible] والآية [illegible] لا تعد ولا تستقصى، فله
الحمد على ما أولانا من النعم، وله الثناء اللائق على الوجه الأتم، وأشهد
أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها ليوم القيامة وأعدها [illegible]
[illegible] إلى يوم الحشر والندامة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي
كشف ببعثته عن القلوب حجب الغي، وأشرقت أنوار نبوته في أقطارها
كل شيء، المرسل للعباد رحمة [illegible] [illegible]
عليه وعلى آله وأصحابه خير الأمم [illegible]
الأكوان [illegible]
[illegible]

[illegible]

نيابتا دمشق وحلب

من كتاب

المواكب الإسلامية فى الممالك الشامية

تأليف

محمد بن عيسى بن محمود الحنبلي

المتوفى سنة ١١٥٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف :

سبحان مؤيد كلمة الإسلام بخير ناصر، ومؤيد دعائم الإسلام بالسيف الباتر، مزايا أنعمه لا تُحصى، وآلاؤه غزيرة لا تُعد ولا تستقصى، فله الحمد على ما أفاض من النعم، وله الثناء بما يليق على الوجه الأتم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أدَّخرها ليوم القيامة، وأعدها حرزًا لى يوم الحسرة والندامة.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذى كشف بمبعثه عن القلوب حُجب الغيّ، وأشرقت أنوار نبوته حتى أضاء منها كل شيء، المرسل للعباد رحمةً وتوطينًا ﴿ **إنا فتحنا لك فتحا مبينا** ﴾ [الفتح: ١] صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه خير الأمم، وفرسان الهمم، ما ابتسمت ثغور الأقحوان، وفتحت أكفها شقائق النعمان.

وبعد، فهذه رسالة بعثنى عليها بواعث المحبة، ودواعى سواجع القضايا الملبة[٢]، أعطرت بروضتها الزاهرة، وأغدقت مزنة[١] سحابتها الماطرة، تتعلق بمحاسن المملكة الشامية، ويتشنف السمع المصغى بذكر ما لها من الفضائل الكلية، وما لها من الممالك، وتدبير المواكب، وما ورد فيها مما فاق وعلا أوج الكواكب.

فتشتمل على ذكر: الخوانق[٣] والمدارس، وما لها من محاسن النتاج؛ من مأكول ومشموم وغير ذلك، مما يَأنس بسمره المُجالس، من منظوم ومنثور، وفوائد

---

(١) القضايا الملبة: أى العارضة المحببة والمقربة والمواجهة. انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة [لب].

(٢) المُزْنُ، بالضم: السحاب، والمزنة: القطعة منه. انظر: القاموس المحيط، مادة [مزن].

(٣) والخوانق تعرف بالخانقاوات وهى البيوت التى كانت تبنى لطوائف الصوفية.

يحق لها أن تعلو فى النحور، فيتوهمها المتأمل درًا يتيمًا، وكان لها المُطالع سميراً فهيمًا.

فهى كالزهْر إذا برز من الأكمام، أو كالدر الثمين فى نحور ربات اللثام، تخضع فى بسيط طروسها[1] لحسنها رءوس الأقلام، ويبسط المتأمل راحة كف الإذعان؛ عندما يتأملها، ويعلم مزايا الكلام، مع أنى لا أبرئها من الزلل، وإن طاب موردها الزلال، ولا أنزهها من الخلل، وإن احتوت على خير المقاصد والخلال.

خدمت بها الوزير المفخم والمشير المعظم ؛ من ظهرت آثار جوده فى السرائر والظواهر، وسارت محاسن شجاعته فى الورى سير المثل، وناهيك بالمثل السائر؛ حتى رفع بهمته كل محارب متحاجر، وأجاد بحسن الاتفاق وعدم المطاق ما ينعقد عليه الخناصر[2]، ألا وهو كافل دمشق الشام، الدستور المكرم [سليمان] [3] أيّدالله قواعد دولته، وحفظه فى سكونه وحركته، فما تنضت[4] من رياض الكتب الجامعة لهذه الخدمة زهرًا، وتنضدت من عقود جمان الفوائد دررا.

فاجتمع من ذلك ما قلّ لفظه وكثر معناه، وما استغنى بمحاسنه عمن سواه، فجاءت مع الإيجاز بكفة راجحة تحاكى الريحان، خفيف المهر، طيب الرائحة.

والمرجو أن ينظمنا فى سلك معروضاته السلطانية، ويذكر مدرسة كانت وجهت لنا إلى الدولة العلية، لا يزال مؤيدًا بمحاسن الرأى والتدبير، محروسًا بعين العناية من الملك القدير.

---

(١) الطروس، مفردها الطِرْسُ، بالكسر: الصحيفة، أو الصحيفة التى محيت ثم كتبت. انظر: لسان العرب، مادة [طرس].

(٢) الخناصر ، مفردها الخِنْصِرُ، بكسر الخاء، والصاد: الأصبع الصغرى، وقيل الوسطى. انظر: لسان العرب، مادة [خنصر].

(٣) سقط من المخطوط وأثبتنا ذلك.

(٤) نضّ الشيء: أظهره. والمعنى: ما ظهر من هذه الكتب. انظر: لسان العرب، مادة [نض].

فأول ما نذكر فى هذه الرسالة: دمشق، ومدارسها، وخوانقها، وما لها من المواكب السلطانية مع القوانين الأولية والعثمانية، وما فيها من المحاسن والرياض، وأماكن الإجابة[1]، وما ورد فيها من الأحاديث المستعذبة المستطابة، وما فيها من أرباب السيوف والأقلام مما هو معروف فى دمشق الشام.

وأذكر طرفًا فى جامع بنى أمية، وممالكها مع ذكر مواكبها، وأرباب المناصب الدينية والدنيوية، وما فى دمشق مما اشتمل من الأشجار والأزهار، وما يناسب ذلك من شعر تغزلت فيه الشعراء، أو تكلمت فى الزروع عليه النباتيون، أو خاصة تكلمت عليه الأطباء.

ذكر الكتب التى اقتضبت منها هذه الرسالة:

« كوكب الملك ودولة الترك ».

المحاسن الشامية، المسمى:« نزهة الأنام فى محاسن الشام))، للشمس ابن المزلق[2].

« الملاحة فى صناعة الفلاحة »، للرضى الغزى العامرى الدمشقى.

« الدارس »، للشيخ عبد القادر النعيمى.

« المسالك »[3]

« العبر » للحافظ الذهبى.

« تاريخ البكرى ».

و« تقويم البلدان »، لياقوت.

---

(١) يقصد القبور ولا شك بأن ذلك مخالفة للعقيدة الإسلامية الصحيحة .

(٢) هو أبو البقاء عبد الله بن محمد البدرى (ت ٨٩٤هـ) كتاب آخر هو المطالع البدرية في المنازل القديمة .

(٣) أى مسالك الأبصار لشهاب الدين ابن فضل الله العمرى.

و«الروض المعطار » .

« مطالع البدور فى منازل السرور »، للبهائى.

« زهر البساتين »

« المناهج » .

« تاريخ نوازل الزمان »، للمحدث ابن طولون الحنفى الصالحى.

« الطب النبوى »، للدمشقى.

« الغرث المحلى »، للشيخ يحيى بن يونس الدحلاشى.

كتاب « لتثفيف والإرصاد »، لابن دريد.

و«تأهيل الغريب »، للنواجى.

و« الفلاحة الرومية »

«تشنيف المسامع » ، لابن حبيب الحلبى.

« تاريخ الصالحية »، للحافظ جمال الديـن بن عبد الهادى الصالحى، ومن مسودته وخطه نقلتُ.

و« الذيل »، للحافظ الذهبى.

و « التوضيح » لابن ناصر الدين فى تاريخ الصالحية.

و« تاريخ الأم » لابن عساكر، المسمى: « ديوان الإسلام » .

و «تاريخ ابن شداد » .

و « لطائف الأعاجيب » ، للحافظ الدومى الصالحى.

و « تاريخ آثار البلاد وأخبار العباد » للقزويني .

وكتاب ((أخبار البلدان))، للنيسابورى.

« شرح الأنموذج فى الطب » لابن النفيس الرئيس بدمشق.

و «مفردات الشريف الصقلى » .

« تذكرة الإمام السويدى » أيضًا فى الطب.

كتاب (« الزهور » ، للإمام المحدث عمر المراغى تلميذ البيضاوى المشهور بابن إياس.

و « تاريخ الجنابى » .

وكتاب « الوشى المرقوم فى المنظوم » ، للشيخ ضياء [الدين] الموصلى الكاتب.

و « الجامع الصغير » ، للسيوطى.

و « عيون [1] التواريخ » .

وكتاب« التعريف » .

وكتاب « الطلاسم والأرصاد والنعاقين » .

وكتاب « أخبار بلدان الإسلام »، للإمام محمد بن أحمد البشارى المقدسى.

وكتاب « المرقص والمطرب» لابن سعيد الغرناطى.

و« التفسير » للقاضى البيضاوى، والواحدى، والمهدوى، والبغوى، والجلالين.

و « الروض المعطار » .

و« الأرصاد » .

وكتاب « كشف المشكل » [2] للحافظ ابن الجوزى.

---

(١) فى المخطوط (وغيره فى) وهو خطأ والصواب ما أثبتناه كما هو فى المصادر والمراجع ، ومؤلف هذا الكتاب ابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) .

(٢) فى المخطوط كف المكحل والمثبت من ترجمة ابن الجوزى.

ورحلة أبى حامد الأندلسى.

وكتاب « لواقح الأفكار » للصنهاجى.

و« الطب النبوى »، لابن الجوزى.

وكنز الأسرار، للإمام الصنهاجى.

و«حاشية الخفاجى » وغير ذلك.

وسميته : « المواكب الإسلامية فى الممالك الشامية » .

فصل

الممالك الشامية: أكبر مدنها دمشق، والشام حدُّها من الفرات إلى العريش طولا، ومن جبل طيئ إلى بحر الروم عرضًا. قاله فى آثار العباد[1].

وقيل: قطر الشام من العريش إلى بالس[2]، وقيل: إلى الفرات.

وقال ابن السمعانى[3]: هى بلاد ما بين الجزيرة والغور إلى الساحل[4].

ويجوز التذكير والتأنيث، والهمز وتركه، وأما شأم - بفتح الهمزة - فيأباه أكثرهم إلا فى النسب. قاله فى المحاسن الشامية، وقال ابن حبيب الحلبى فى كتابه تشنيف المسامع فى وصف الجامع؛ فتذكر.

وأما دمشق فهى: فى وجنة الدنيا كالشامة، وفى البلاد كالطاووس أو طوق الحمامة، وفى دائرة الأقطار كالنقطة المعلمة، وفى جيوش الإمعان كالملك الذى

---

(١) انظر انظر آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (٢٥٠) .

(٢) بالس: بلدة بالشام بين حلب، والرقة. سميت فيما ذكر ببالس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام. انظر معجم البلدان(٣٢٨/١)، ومعجم ما استعجم (٢٢٢/١) .

(٣) السمعانى، هو: عبد الكريم بن محمد بن المنصور بن محمد التميمى، المروزى، أبو سعد، المحدث، الحافظ الفقيه، النسابة، المؤرخ، صاحب التصانيف، توفى سنة (٥٦٢هـ) انظر ترجمته: تاريخ دمشق لابن عساكر (١١٧/١٠) ، وفيات الأعيان (٣٧٨/١)، طبقات الشافعية (٢٦٠/٤) .

(٤) انظر: الأنساب للسمعانى(٣/ ٣٨٧) .

ينطق بالحكمة، وفى قلادة الأقاليم كالواسطة، وفى سماء الممالك كالشمس التى بدت أشعتها فى الوجود باسطة.

وهى المعدودة من جملة مدائن الجنة[1]، قد اشتملت على الماهرين الأهلة، من أرباب الكتاب والسنة، وهى المعروفة بـ ﴿ **إرم ذات العماد** ﴾، والموصوفة بـ ﴿ **التى لم يخلق مثلها فى البلاد** ﴾ [الفجر:٧، ٨] .

ووصفها الدمامينى المالكى الإسكندرى[2]، فقال: فتأملها، فإذا هى ربوة ذات قرار ومعين، وبلدة تبعث محاسنها الفكر على أحسن وصف وتبيين[3]، وما أحسن جامعها الشارق فيها وفى سواها، والأنهار التى إذا ذكرت، قيل: ما اجراها، وإذا سمع الحديث الخصب، قيل: ما أرواها، وما أقول إلاّ متنزهات مصر عارية، وهذه ذات الكسوة، وإن النيل ما احترق من الأمواه إلا من حيث لم يسعفه الدهر بالصعود إلى تلك الربوة، وما ناله الكسر إلاّ لتألمه بالانقطاع عن الوصول إلى شقوق أنهارها، ولا أظنه أحمرَّ خجلاً إلاّ بصفاء أنهارها، فلو رأى العاشق جبهتيها لسلا بمصر معشوقه، ونسى ظهور جوانبه المنحنية بقامات غصونها الممشوقة، فحق

---

(١) إشارة إلى حديث أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق بسنده عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله : ﷺ « أربع مدائن فى الدنيا من الجنة: مكة والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق... » انظر: تاريخ دمشق (٢٢٠/١) . وهذا الحديث أخرجه الخرجه الخوازمي في إثارة الترغيب والتوشيق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق ٤١٧/١ ورواه ابن عدي في الكامل وفي إسناده الوليد بن محمد المنقري كذَّاب ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وابن عرّاف في تنزيه الشريعة ٢ / ٤٨ .

(٢) الدَّمَامِينى، هو: محمد بن أبى بكر بن عمر بن أبى بكر بن محمد القرشى المخزومى، الإسكندرى، المالكى، ويعرف بابن الدمامينى، بدر الدين، أديب، ناثر، نحوى، عروضى، فقيه، له شرح مغنى اللبيب، توفى سنة (٨٢٧هـ) انظر ترجمته: الضوء اللامع(١٨٤/٧)، شذرات الذهب(١٨١/٧) معجم المؤلفين (١٧٠/٣) .

(٣) فى المخطوط وتعيين ولعل ما أثبتناه هو الصحيح.

لمصر لا تجرى حديث المفاخرة فى وجهها، وأن تتقى شر المنازعة قبل أن تصاب من هذه البلدة بسهمها، ولطالما اهتز[1] لجنكها[2] الباطن على السماع، وترى كل نهر أذاب عقد الجليد مما انعقد على حلاوة شكره الإجماع.

وما أحسن قول القيراطى[3]:

مَافِيهِ إِلاَّ جَوْسَقٌ[4] أَوْ رَوْضَةٌ ... أو جدول أوبُلبُلٌ أو رَبْرَبُ[5]

وإذا تكسر ماؤه أبصرته ... فى الحال بين رياضه يتشعبُ

وشَدت على العيدان وُرْق أطربت ... بغنائها من غاب عنه المُطْربُ

فالوُرْق تشدو والنسيم مشبب ... والنهر يسقى والحدائق تشربُ

وضياعها ضاع النسيم بها فكم ... أضحى له من بيننا متطلبُ

ولكم طربت على السماع لِجَنْكِها ... وغدا بربوتها اللسان يشبِّبُ

ولبعضهم:

نزِّه الطرف فى دمشق ففيها ... [كل] ما تشتهى وما تختار

هى فى الأرض جنة فتأمل ... كيف تجرى من تحتها الأنهار

وللحافظ أحمد المقرئ المؤرخ المحدث :

محاسن الشام جلت ... عن أن تقاس بحد

كأنها معجزات ... مقرونة بالتحدي

---

(١) فى المخطوط انتهرت ولعل المثبت هو الموافق للمعنى.

(٢) الجنك: آلة طرب فارسية.

(٣) القيراطى، هو إبراهيم بن شرف الدين بن عبد الله بن محمد، المصرى، برهان الدين، شاعر، له ديوان شعر سماه مطلع النيرين. توفى سنة (٧٨١هـ). انظر ترجمته: حسن المحاضرة، للسيوطى(٢٧٤/١)، معجم المؤلفين (٣١/١) .

(٤) الجوسق: القصر، فارسية على هيئة بناء صغير يشاد فى بستان أو على سطح بناء القلعة.

(٥) والربرب: قطيع من بقر الوحش.

ومن قول ابن الساعاتي:

لولا صدودكِ يا أملحة　　　مابتُّ أندبُ عهدَ رامهْ

أبكي ليالـي غبطـة　　　كانت بخد الشام شامه

فتأمل كيف أطلق الشام على لياليه التي مرت من بين الليالي كلها، واستطابها من بين الليالي كلها.

قيل : بناها العاذر، غلام إبراهيم - عليه السلام - قاله وهب، وكان خادمًا لنمرود، فوهبه له.

وفي عيون التواريخ : بناها غلام الإسكندر، واسمه: دمشق لما نزل عقبة دمر[1] حين فرغ من السد وأهل خراسان ورأى النهر وغيضه، فأمر بالعمارة ونزل الأمين موضع العمارة، والإسكندر في موضع يقال له: الآن يلدا، وهي من الغيضة الأرز على أربعة أميال، ثم أمره بقطع الشجر والأرمان[2] الكائن حول النهر في الوادي، وأمره بالبناء ، وسميت باسم غلامه، وعمل لها ثلاثة أبواب: البريد، وجيرون ، والفراديس، وخارجها: المرعى، والزروع، ثم سكن بها - دمشق - إلى أن مات فيها. انتهى من عيون التواريخ.

قال الجوهري : دمشق القديمة، وتُجْمع على دماشق، وقيل: بناها اليونان، وقسموا الأنهار، وسلكوا الماء إلى الدور، وبنوا المعبد، وقبلته [كانت] جهة الشمال جهة القطب، وبابه وهو خلف محراب المقصورة إلى الآن، وهو حسن مبني بالحجارة المنحوتة، وعن يمينه وشماله بابان صغيران بالنسبة إليه.

---

(١) دُمَّرُ : بفتح أوله ، وتشديد ثانيه ، وبالراء المهملة ، عقبة دمر مشرفة على غوطة دمشق، وهي من جهة الشمال في طريق بعلبك. انظر: تاريخ دمشق (١/١٥) ، معجم ما استعجم ١ / ٥٥٦ .

(٢) أرمان : هكذا بالمخطوط .

وقيل : عاد، وقيل: ولده معد، وقيل: له ولدان: جيرون، والآخر: بريد، وبنى لهما القصرين المشهورين؛ الأول: غربى الجامع، والثانى: شرقيه، ولا مانع من تكرار التجديد، أو وقوع الأحداث شيئًا بعد شيء.

وقيل: بنتها[1] الجن لسليمان، عليه السلام.

أبواب دمشق

وأما أبوابها : فسبعة:

الأول : الصغير. وهو الذى نزل به يزيد بن أبى سفيان حين حصارها[2]، وهو القبلى.

وكيسان : وهو قبليها من شرقيه، وينسب إلى كيسان مولى معاوية لنزوله عليه، والآن مسدود.

وباب شرقى: لأنه شرقى الباب، وعليه نزل خالد بن الوليد.

وتوما : اسم لصاحبه.

والخامس: الجنيق، منسوب لصاحبه.

ويليه الفراديس: محلة كانت خارجة عنه، والفراديس: البستان.

ويليه السابع - أعنى باب الجابية - منسوب إلى قرية الجابية، وكانت فى الجاهلية مدينة عظيمة.

وباب الجابية كان ثلاثة أبواب: صغيران، وكبير، والشرقى مقابله كذلك.

---

(١) فى المخطوط بنته، والصواب ما أثبتناه.

(٢) وكان حصارها فى فتح دمشق وذلك كان سنة أربع عشرة من الهجرة وقيل: استمر هذا الحصار مدة أربعة أشهر وقيل: سبعين ليلة. ينظر: فتوح البلدان(١ / ١٥٤) ، تهذيب تاريخ دمشق (١ / ١٥٥) .

وكان للثلاثة أبواب ثلاثة أسواق من شرقى الجابية:

الأوسط للمشاة.

والواحد: لمن يشرق[1] بدابته.

والآخر: لمن يغرب حتى لا يلتقى راكبان.

والسلطان نور الدين[2] فتح بابًا آخر، يسمى: باب السلام، وآخر يقال له: باب الفرج.

قال ابن عساكر[3]: وكان قربه بابٌ يسمى: باب العمارة، فتح عند عمارة القلعة، وأثره باق إلى يومنا هذا.

والأبواب فى هذا التاريخ: باب الفرج، وباب السلام، وباب النصر، وباب توما، وباب الجابية، وباب الفراديس، وباب الجنيق، وباب كيسان، وهما مردومان. وأول من بنى القلعة: أتسز بن أوق[4].

وأحدث الأروام: باب الجديد ـ بالجيم ـ والعامة تقول: باب الحديد ـ بالحاء ـ ويليه باب السر، وهو الغربى وهو مسدود باقٍ إلى الآن، وسمى باب السر؛ لأنه

---

(١) فى المخطوط (يغرب) والصواب ما أثبتناه فى نزهة الأنام (٣٩ أ) .

(٢) نور الدين، هو: محمود بن زنكى، عماد الدين ابن أقسنقر، أبو القاسم، الملقب بالملك العادل، ملك الشام وديار الجزيرة ومصر، وهو من أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم، بنى المدارس والخانات فى الطريق، والخوانق للصوفية، حارب الصليبيين، وبنى الحصون والقلاع وكان مكرماً للعلماء ينهض للقائهم ويؤنسهم ولا يرد لهم قولاً، وكان يتمنى أن يموت شهيداً، فمات بعلة (الخوانيق) فى قلعة دمشق سنة (٥٦٩هـ) فقيل له: الشهيد. انظر ترجمته: وفيات الأعيان(٢ / ٧٨) ، النجوم الزاهرة(٦/٧١) ، تاريخ ابن خلدون (٥ / ٢٥٣) ، الأعلام (٧ / ١٧٠) .

(٣) انظر: تاريخ دمشق (١ / ١٦) .

(٤) ينظر نزهة الأنام (٤ب).

اصطلح فى دولة ابن قلاوون[١] أن من يلى نيابة الشام يصلى ركعتين مستقبلا القبلة، بحيث يبقى الباب عن يساره، وتقف أجناد القلعة وأرباب الوظائف على منازلهم، متجملين بالسلاح إلى الفراغ من صلاته ودعائه، فإن أريد به شرٌّ قبض عليه، ودخلوا به من ذلك الباب، ويقفلون الجسر[٢] بينه وبين أعوانه؛ فإنَّ الجسر بلوالب[٣]، وإن أريد به خيرٌ، طلع وركب فى عترته ودولته، إلى أن يدخل إلى السرايا المسماة بدار الملك، وكان أنشأها السلطان نور الدين الشهيد، وتسمى بدار العدل.

وقيل: يسمى باب السر؛ لأنه كان يخرج منه ويدخل إليه سرًا على جسر من خشب، وتحته الخندق الدائر بالقلعة، وهو مقدار معلوم، وفيه تخرج البوص[٤]، عمقه مقدار خمسين ذراعًا، والآن به أنواع الأشجار والفواكه من الزروع لا يكون بدمشق أحسن منها ولا أكثر منها، ولها نوع سبق، وهو غير خندق المدينة.

وأما باب النصر: ففتحه الملك الناصر [بن] أيوب[٥]، وهذه الخمسة الأبواب الحادثة فيما بين الجابية والفراديس، إلا باب السلامة، والفرج، فهما[٦] لنور الدين، وفى

---

(١) ابن قلاوون، هو: محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحى، أبو الفتوح وأبو السلاطين ، ولد سنة ٦٨٤هـ، وكانت إقامته فى طفولته بدمشق وولى سلطنة مصر والشام، سنة (٦٩٣هـ)، وخلع منها لحداثة سنه، ثم أعيد إلى سلطنة مصر سنة (٦٩٨هـ) توفى سنة (٧٤١هـ) انظر ترجمته: النجوم الزاهرة(١٤١/٨)، والدرر الكامنة (١٤٤/٤) فوات الوفيات(٢٦٣/٢) .

(٢) فى المخطوط يعلمون الخبر وهو المثبت فى النزهة (٤٠ب).

(٣) اللولب: آلة من خشب، أو حديد، ذات محور، ذى دوائر ناتئة. انظر: القاموس المحيط، مادة [لوب].

(٤) فى المخطوط البعض والمثبت من النزهة (٤٠ب).

(٥) الناصر بن أيوب بن مروان بن شاذى الكردى الدوينى السلطان الملك الناصر صلاح الدين فتح بيت المقدس توفى ليلة الأربعاء ثامن عشر صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة. انظر النجوم الزاهرة (٣٦/٦-٣٧) السلوك (٨٧/١) .

(٦) الضمير عائد إلى البابين.

السور أبواب صغار تفتح أيام الحاجة، وغالب هذه الأبواب على كل واحد منارة لنور الدين على مساجد، وجعل عند كل باب باشورة[1] كأسواق بها حوانيت مملوءة بالبضائع، فإذا تحصنت المدينة وقفلت، استغنى عن كل صائح لما عندهم.

وبنى معاوية - رضى الله عنه - دار الإمارة، وهى قبلى الجامع، وسماها: الخضراء؛ أى: القبة الخضراء، والدَّار الخضراء، وسكنها معاوية أربعين سنة.

وبالقلعة المحروسة بها ضريح أبى الدرداء - رضى الله عنه - وبها جامع، وخطبة، ومنارة، من بناء الشهيد، وبها حمام، وطاحون، وحوانيت، وكان بها دار الضرب[2]، وبطل بعد الألف، والدور، والحواصل، وبها يمر النهر المسمى بعقرباء، وبها آبار، وبها الطارمة[3] ليس على وجه الأرض أحسن منها، كأنها أُفرغت بقالب من شمع، وهى تسامى رءوس الجبال، ولعله ذات القباب، والآن خرب منها، وهى على قدر الثلثين من طولها، قاله ابن المزلق.

ويقال لها: السبع البارك.

والسبب: أن تيمورلنك عجز أن ينقب تحتها، وقطع الأشجار، وعلقها بالنقب حتى انتهى، فأطلق النار فيما تحتها من الأخشاب، وظن أنها تتفسخ بذلك، وتسقط شذر مذر، فيبلغ مراده مِن أخذ القلعة، فلما عملت النار فيما تحتها بركت

---

(١) باشورة: الباشورة طريق منعطف بين بابى البلد يجعل لعرقلة السير، والهجوم وقت الحصار والحرب، ليصعب الهجوم على البلد، ويظهر ذلك واضحًا فى باب الفرج بدمشق (بين المناخلية، والعصرونين، بين السورين) ، انظر: معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى ص٣٠ .

(٢) دار الضرب: الموضع الذى تضرب فيه الدراهم، انظر: القاموس المحيط، مادة [ضرب].

(٣) الطارمة: بيت من خشب، كالقبة، وهو دخيل أعجمى معرب، وهو من أبراج قلعة دمشق الغربية. انظر: لسان العرب، مادة [طرم].

بصوت أزعج الموجودين ومن ثم، فسموها السبع البارك، وعلى ذلك العمارية، عمارة سابقة أكلف من الموجودة وأصنع، والله أعلم.

وبها البانياس[1]؛ للاستعمال والشرب، والآخر يخرج بالأوساخ، وفيها مصانع وآبار؛ للأمان من الحصار، وهو يصل إلى المزاز. ويُسْقَى منه القنب؛ وهو أبيض أملس كالرماح، مجوف لا عقد فيه، تصب الماء من رأس الواحدة يخرج من أسفلها، وقشره يعمل منه الخيوط والأحبال، وجرمه يقطع يومًا مخصوصًا بأدوية فى أطرافه لإيقاد النار، ويشعل به المصابيح؛ لأنه سريع الاشتعال.

وما أحسن ما شبه بالبنفسج به أبو العتاهية[2] بقوله:

ولازوردية تزهو بزرقتها ... وسط الرياض على حمر اليواقيت[3]

كأنها فوق قامات صفقن بها ... أوائل النار فى أطراف[4] كبريت

وتؤثر النار بالقنب بسرعة، وهو يقوم مقام الشعاع والطل، إلا أنه أسرع فى الاشتعال. كما أن الشيح - بالمهملة - أحسن من الحلفاء، يعرفه الذكى، وأظنه من خواص دمشق.

ضرب النوبة

ومن محاسن دمشق: ضرب النوبة، آخر الليل، وبعد صلاة العشاء، وبعد صلاة العصر، وذلك باقٍ إلى الآن، ونوبة آخر الليل منسوبة لخاتون الملكة أم

(١) بانياس: بلدة سورية بسفح جبل الشيخ، قرب نبع بانياس أحد روافد نهر الأردن. والسياق يدل على أن المقصود هنا هو النهر.

(٢) أبو العتاهية هو: إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان العنزى بالولاء، شاعر، ولد بعين تمر، ونشأ بالكوفة، ثم سكن بغداد، من آثاره: ديوان شعر ، توفى سنة (٢١١هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء (١٨٥/٧)، معجم المؤلفين (٣٧٤/١) .

(٣) اللازورد: معدن يتخذ للحلى، وأجوده الأزرق منه، انظر: القاموس المحيط، مادة [لزو].

(٤) فى المخطوط لظى وهو تحريف.

السلطان الملك الظاهر بيبرس؛ فإنه كان لها قيام فى آخر الليل، فنامت بعض الليالى عن تهجدها، فأصبحت وبها غيظ، فسأل الملك عنها وعن شأنها فأمر بالنوبة كل ليلة تضرب آخر الليل بأمرها، ولسائر المتهجدين والصائمين، وكانت قديمًا الطبول تضرب على أبواب المدينة، وأبواب الأمراء، فبقيت إلى بعد الألف.

ومن محاسنها المتنزهة:

الجبهة[1]: وهى أرض مربعة قدر فدانين، عليها سقائف تظلها من غير طين بين شجر الصفصاف، والحور والجوز، وكل مغرس[2] حصة يحتاط جدول الماء من أربع جهاته مع البركة والبحيرات والنوافر، وهى على جنب نهر بردى[3] وبه النواعير، وبه الحوانيت للشرايحية والطباخين، والجزارين، والجواخرية[4]، والأقسماوية[5]، والفواكهية، وبها مسجد، ومدرستان، وخان، ومقاصفية واقفة فى خدمة الناس، وعندهم اللحف والأوعية والطناجر، والفرش، والمخاد، لمن يمكث أو يبات.

وفيها يقول التقوى بن حجة: [دوبيت]:

لما ملأ الجبهة بالأنوار سيدنا ... لمناه فى ذاك من خوف ومن عار

فقال انصرفوا عنّى أليس تروا ... بأنما الجبهة منزل الأقمار

---

(١) الجبهة، أو الجُبّةُ: ناحية بين دمشق، وبعلبك، تشتمل على عدة قرى. انظر: معجم البلدان (٢/ ١٢٦).

(٢) فى المخطوط (منوس) وهو تحريف والصواب ما أثبتناه للسياق.

(٣) بردیا أو (بردى): نهر بدمشق، سمي بذلك لبرد مائه. انظر: معجم البلدان (١/٤٤٩)، معجم ما استعجم ١ / ٢٤٠.

(٤) فى المخطوط الخوامرية والمثبت ما فى النزهة (٤١أ).

(٥) يطلق على بائع السويق.

وفيها يقول ابن سعيد صاحب المرقص من المطرب[1]، وقد رآها عند شمس الأصيل قبيل المغرب:

إن للجبهة فى قلبى هوى [لم يكن عند للوجه] [2] الجميل
يرقص الماء بها من طرب ويميل الغصن للظل الظليل
تود الشمس لو قامت بها فلذا تصفر أوقات الأصيل

ولأبى سعيد الغرناطى قال : خرجت إلى ظاهر دمشق للمتنزه المعروف بـ « الجبهة » فقلت مخاطبًا نور الدين الأسعردى:

مولاى نور الدين أوحشتنى من دوحة الجبهة حيث النعيم
والغصن قد أقلق شوقًا إلى لقياك واستملى حديث النسيم
والروض صلى عنده المقعد من بُعدكم والمقيم
والنهر فيها ركضًا خيله من أشقر أو أشهب أو بهيم
أنا الذى يَفْرَق دائمًا فى كل واد فى دمشق أهيم

ويعلو الجبهة نهران: البانياس، والقنوات، المنحدر الماء إليها منهما، ومن فوق النهر حمام النزهة بالربوة، وإلى جانبه مقصف لحوانيته، فيها البضائع، و [يمر] الجسر بواسطة نهر القنوات، ويتوصل إلى زاوية الحريرى المشهورة، وليس بأبدع منها، وينحدر منها إلى المتنزه المسمى بقطية، وهو مقصف[3] مع نهر بردى، وعليه نواعير أرضية، بجداول[4] الماء، والبرك، والبحيرات، وبه قصبة، وحوانيت يعلوها أربعة طباق، ومربط للدواب.

---

(١) أبو سعيد، هو فرح بن قاسم بن أحمد بن لب الثعلبى، الغرناطى المالكى الأندلسى، عالم بالعربية، من الفقهاء، اشتغل بالتفسير، وعلم الأصول، توفى سنة (٧٨٢هـ) انظر: الديباج المذهب لابن فرحون ص٢٢٠ ، شذرات الذهب(٦/٢٨٠) .

(٢) فى المخطوط ألوم والمثبت كما فى النزهة (٦٩ أ).

(٣) المقصف، جمعها مقاصف: محل الأكل والشرب واللهو. انظر: القاموس المحيط، مادة [قصف] .

(٤) فى الأصل: يحلو دل، والمثبت من النزهة.

وعند المقاصفي العبي واللحف والأنطاع حتى الأطباق والملاعق لمن يأكل، وهذا مما لا يوجد ببلاد غير دمشق.

وقال الشمس بن المزلق في « نزهة الأنام » أيضًا: أنشدني القاضي عز الدين الكناني الصالحي الحنبلي(١) فيها:

أيا حُسْنَ سلسالٍ على مرج قطية   إذا ما جرى فيها نخوض ونلعب

تهدده أغصانها برءوسها   فينظر من طرف خفي ويهرب

ولابن عمار الأندلسي(٢) - رحمه الله تعالى -:

نهر يهيم بحسنه من لم يهم   ويجيد فيه الشعر من لم يشعر

فكأنه وكأن خضرة أرضه   سيف يسل على بساط أخضر

ومن متنزهاتها : المتنزه المسمى بالبهنسية، وهو روض يجتمع على أشجار وثمار، وينظر منه إلى مرجة جسر شواش، به مقاصير وبيع وشراء، ومنه إلى أرض مختصة ما بين رياض وغياض، ويعلوها محلة النيرب، وهي من أعظم المحلات وأنضرها، وبها سوق وحمام يقال له: حمام الزمرد، بالنيرب وقد عده الحافظ ابن عبد الهادي من حمامات الصالحية.

حمامات الصالحية

وقد ذكرها كلها بقوله فقال: « باب في حمامات الصالحية »، من تاريخه ومن خطه نقلت: « حمام الزمرد بالنيرب، خرب وزال، [وحمام] الشبلية كذلك،

---

(١) الكناني الصالحي، هو: أحمد بن إبراهيم بن نصر بن أحمد بن أبي الفتح، العسقلاني، عز الدين أبو البركات، أكثر من الجمع والتصنيف، ومنها: تنبيه الأخبار على ما قيل في المنام من الأشعار، توفي سنة (٨٧٦هـ). انظر ترجمته: الضوء اللامع(١/٢٠٥) ، شذرات الذهب(٣٢١/٧) .

(٢) في المخطوط عمارة والمثبت من شذرات الذهب لابن العماد (٣٥٦/٣) .

وحمام مقرى كذلك، وحمام الزهر نسبته إلى بانيه، وخرب وصار مكانه جنينة، وحمام العلائى فوق الكاس والكاس، وحمام الركنية، والنحاس، وحمام القاضى حمزة، وحمام الحاجب، بناه الأمير محمد بن مبارك صاحب الحاجبية، ومثله فى الحسن عبد الباسط بمحلة الجسر الأبيض، وحمام ابن العينى، وحمام الحنفى، وحمام العرائس، وحمام العفيف، وحمام المقدم، وحمام إبراهيم الخواجا، وحمام الجورة، لصيق ابن عربى.

وبمحلة الجسر مقصف وعمائر وقصور، وبه مقصف على نهر تورا، وحمام وبعض حوانيت وهو أعدل هواءً فى دمشق وكان متهدمًا زمن السلطان سليم[١] ـ عليه الرحمة ـ فاشتراه بمائة ذهب ما عدا حلة الماء، وضافه للمسجد الذى أنشأه.

قال: وثم حمامات فى بيوت: ففى بيت القاضى كمال الدين بن الخطيب حمام، وفى بيت الجرودى حمام، وفى بحارة مقرئ حمام)). انتهى كلامه.

وترك ذكر حمام الربوة، وحمام النحاس، ولعله هو حمام الركنية، والله أعلم.

والآن لم يبق بالصالحية سوى خمسة:

حمام الحاجب، وحمام المقدم، وحمام العرائس، والعفيف، وعبد الباسط.

وفاته ذكر حمام الربوة، وحمام ابن سلطان بالسكة، وحمام عند المسجد لصيق الجامع الأفرم، ولعله قبلى المسجد لصيقه قبل الجامع، وقد انكشف لنا، [ورااووا: إنما بيته] [٢] وعمارته.

وكان مردومًا وظهر ذلك التل عنه فى سنة سبع وأربعين ومائة وألف.

---

(١) السلطان سليم الأول، من السلاطين العثمانيين، قضى على دولة المماليك فى موقعة (مرج دابق)، وفتح سورية، ومصر. توفى سنة (٩٢٥هـ) انظر ترجمته: العثمانيون فى التاريخ والحضارة، محمد حرب ص٢٣:: ٣٠ .

(٢) هكذا بالمخطوط.

ذكر محلة النيرب

ثم إن محلة النيرب ـ كما قال ابن مزلق ـ : هى من أعظم المحلات وأنضرها، وبها سويق، وحمام الزمرد، وجامع بخطبة، وبها مسكن الرؤساء والأكابر، وبها دار القاضى ابن حجى، انتهى.

قلت: ويدخل منها إلى محلة حجى، قلت: ولعله لم يذكر محلة الدهشة؛ لأنها من جملة النيرب، وفى محلة الدهشة سكن القاضى السبكى (صاحب جمع الجوامع فى الأصول)، ومنها للربوة، ويأتى ذكرها فى القريب.

أقول: [نشأ] التغزل لما انتشأ موضع العمارة من الحدائق والبساتين الظليلة والفواكه الجليلة، وإلا فالعمائر لا يتغزل فيها فى العادة.

وفى النيرب يقول بدر الدين الذهبى:

رعى الله أرض النيربين فإننى ... قطعت به يومًا لذيذًا من العمر

رآنى أنى جئته متنزهًا ... فمد لأقدامى بساطًا من الزهر

وأوحى إلى الأغصان قربى فأرسلت ... هدايا مع الأرياح طيبة النشر

وأخدمنى الماء القراح وحيثما ... سنحت رأيت الماء فى خدمتى يجرى

وأجاد الوداعى بقوله[1]:

ويومٍ لنا بالنيربين رقيقة ... مواتية خال من رقيب يشينه

وقفنا وسلمنا على الدوح بكرة ... فردت علينا بالرءوس غصونه

(١) الوادعى: على بن المظفر بن إبراهيم بن عمر، الإسكندرانى، أبو الحسن، علاء الدين، من الأدباء، والشعراء، ومن تصانيفه: ديوان شعر فى ثلاث مجلدات، توفى سنة (٧١٦هـ). انظر ترجمته: الدرر الكامنة (٣/١٣٠)، النجوم الزاهرة (٩/٢٣٥) .

وقال سيف الدين المشد[1]، وأبدع:

وصبا صبت من قاسيون فسكنت بهبوبها وصب الفؤاد البالى

خاضت ميــاه النيربين عشيـــة وأتت إليك بليلـــة الأذيـال

ولابن النبيه قوله من قصيدة:

ويح قلب المحب فى من يقاسى كــل قلب عليه كالسحر قاس

يا عيونى أين الدموع فقد أحـ ـــرق قلبى توقـــد الأنفـاس

إلى قوله:

هبـــة النيربين من نهر تُـورًا واخضـرار المـروج من بانيـاس

بلدة حل بها الحبيب

وقبله قوله:

من بنـى التـــرك ضيــق العين فإن جاد كان من العباس

جذب القوس فاكتست وجنتاه ثـوب وردٍ طرازه من آس

ومنها قوله بعد ذكر النيرب: ذكر الغوطة، وهى من متنزهات دمشق قوله:

والنسيم الذى يمر على الغو طـــة ريان نشره عاطر الأنفاس

بلدة حل بها الحبيب فمـــر عاها خصيب والناس فى أعراس

ومما أنشدنى بعضهم لبعض القراء وأجاد:

سقى الوسمى سفح النيربين وحياهـــــا الحيـــا بالواديين

---

(١) سيف الدين المشد، هو: على بن عمر بن قزل، التركمانى المعروف بالمشد، شاعر من الأمراء توفى بدمشق سنة (٦٥٦هـ) .انظر ترجمته: الوافى، للصفدى (١٢/١٢٨)، البداية والنهاية (١٣/١٩٧) .

ديار إن جفاها الغيث يومًا سقاها الغيث دمع المقلتين
حوى الشرفين ناديها فزفَّت بها الولدان بين الجنتين
فيالله من نورا أراها وأنظر حسن بهجتها بعيني
وصدر الباز أشرح فيه صدرى بنسمة نشره فى الخافقين
وألثم شهده كالشهد طعما وأرتع فى رياض الربوتين
فيا حادى السرى عج بالمطايا وعرج نحو مرج الغوطتين
أعلل باللقى قلبا عليلاً وأنشد ناظراً للفرقدين[1]
وأنشد كلما قد لاح برق سقى الوسمى سفح النيربين

ومن متنزهاتها: بين النهرين. قال ابن المزلق:

« وهو مبتدأ الوادى غربى البغا يشتمل على فرجة سماوية، بها دور، وقصور، وسويقة، وبها حانوت طباخ وصاجاتى[2]، وخواضرى[3]، وقطيفانى[4]، وفاكهانى، وقلايينى[5]، وسكردانى[6]، ونقلى »[7]، وقاعة، وعدة مقاعد للخليفة، وحمام، وقنطرة يتوصل بها إلى جزيرة لطيفة من ورائها يتسع نهر بردى ثم يصير نهرين، والمقسوم مبتدأ نهر الشيخ الصالح أرسلان[8] ـ قدس الله سره ـ وبها مقصفان للبطالين[9] فيما بين المقسمين، وقبالهما زاوية الشاب التائب، يقام فيها

(١) الفرقد: نجم قريب من القطب الشمالى ثابت الموقع تقريبًا ولذا يهتدى به وهو المسمى: النجم القطبى ويقربه نجم آخر مماثل وأصغر منه وهما فرقدان. المعجم الوسيط [فرقد].

(٢) أى صانع الصاجات وهى حرفة من الحرف.

(٣) وهى حرفة أيضًا.

(٤) النسبة إلى عمال القطائف وهى تعمل من رقائق من عجين البر مقوسة كالأهلة صغيرة ينظر الوسيط(٢/٧٤٧)

(٥) وهى حرفة قلى نوع من الحلوى.

(٦) وهى حرفة تصنع من السكر.

(٧) وهو بائع المكسرات.

(٨) أرسلان، أبو النجم بن يعقوب ترجمته فى الشذرات٥ / ٤٤٨ .

(٩) تطلق فى عهد الدولة المملوكية على الأمراء والأجناد العاطلين عن أداء أعمال لعلة ما.

المنشد والتلاوة بالوعظ والذكر، والدواخل، ما ثم يجعل الحاضر غائبًا، ويتوصل منه إلى سقائف النهرين المشتمل على طباق وقاعات، وكم غرفة وكم رواق، والجميع مطل على النهرين، وفى كل منهم ناعورة يستلذ بأنينها ويجيب له الماء إذا سمع حنينها، انتهى كلامه.

وقلتُ: وليس فى تلك الناحية، من النواعير إلاّ الذى فى المولوية، وباب الهوى، وكان من متنزهات دمشق وبه الناعورة، وهى الآن للمسجد الذى هناك، وكان بهذا المحل أماكن متخربة فأنشأ بها محمد باشا بن بيرم مدرسة، وهى الآن بينة.

ومن المنتزهات: القريبة: جامع يلبغا[١].

قال ابن المزلق: « وهو يطل على الربوة وبردى من سائر جهاته » .

قال: « وعلى بحرته غرفة، ولها نوفرة قدر قامة » .

ومن منتزهات الجوامع: الجامع البردبكى بدمشق؛ فإنه مركب على بردى، وله ثمانية شبابيك :اثنان شرقيان، وأربعة قبلية، واثنان فى الجهة الغربية للجامع.

وبقى من العمائر والمدارس: الكوجانية، والمولوية، والزهرائية.

وأما القصور، والمقاعد المعمرة للنزهة فمتعددة الآن، ولعل القصور المبنية للنزهة فى الصالحية وغيرها محدودة.

وقديمًا كان تعمر العمائر للنزهة من غير طين، والعمائر المكلفة كانت للمدارس والجوامع بخلاف الآن.

ومن المحاسن: جامع تنكز[٢] والخانقاه فى الشرف الأدنى وهى إلى الآن، وفيه الآن يجرى نهر بانياس، وليس فى الشام نهر يجرى فى الجامع ظاهرًا إلاّ هذا، ونهر مدرسة العمرية بالصالحية، وهو فى الزقاق القبلى.

---

(١) تقدم وانظر الدارس (٣٢٦/٢) .

(٢) تقدم وانظر الدارس (٣٢٧/٢) .

قال ابن المزلق: « فيه عشرون شباكًا على خط الاستواء يُشْرف على المرجة والأنهار، وبمقابله الكوجانية؛ وهى مدرسة عظيمة مطلة على المرجة كلها، وهى بستان الآن ما عدا العمارة فى الأعلى».

قال فى النزهة[١]:

وقيل: كان بها قبة لها طاقات بعدد أيام السنة، كل يوم فى طاقة، وهذا من أحسن الهندسة، وغالب الشرفين كله مقاعد ومحاسن وبساتين للتنزه، وفيه بعض قصور.

قال: وفى تنكز ناعورتان تفْرغان إلى حوضين كبيرين، بها سائر الأشجار، وجميع الرياحين والأزهار، وبينهما بركة مربعة بها كأس فى غاية التدوير؛ فهى للتنزه مقصد، وللمصلى معبد، وبها مئذنة من العجائب، ومكتوب عليها اسم معماريها مع كونها مبرومة مدورة، ومقصورة لها دربان، ولم يوجد مثل ذلك فى غيرها[٢].

وكل شرف فيه عدة مدارس ومساجد، ولكل واحد مما يكفيه، استولى عليه أيدى المتشبهين بالفقهاء فأظهروا فيه أنواع المفاسد، وكل من الشرفين مطل على القصر الأبلق[٣] والمرجة.

والشرف اثنان : الأعلى، وفيه: المدرسة الكوجانية، والعزية، والأمجدية ومن كان فيه أماكن الإمارة وغيرهم، وقصور إلى قُرب الربوة.

---

(١) يقصد ابن المزلق فى كتابه (نزهة الأنام فى محاسن الشام).

(٢) ينظر النزهة (٧٦أ).

(٣) وهو قصر عظيم مبنى من أسفله إلى أعلاه بالحجر الأسود والأصفر بتأليف غريب وإحكام عجيب بناه الظاهر بيبرس البندقدارى فى سلطنته. صبح الأعشى(٤/٩٣ - ٩٤) .

قال ابن طولون: ((ومساجد وخطب، وبطل ذلك وخرب))، وكان فيه بعض حوانيت وخانات؛ وأوله اليونسية المدرسة العظيمة، وكان يعرف بدار الإمارة، أُبطل كله فى ليلة بعد العصر.

وكذلك الشرف الآخر، وفيه عدة مدارس: وأوله الحامية المشهورة، والآن به ـ أيضًا ـ المدرسة المولوية، وانتشأ به قصور للنزهة بعد تلك العمائر والمحلات العامرة، وكانت قرب الخلخال فى الشرف الأدنى، وقربها عمائر، وكان قرب الخلخال جامع بخطبة، وخوانق إلى غير ذلك؛ فسبحان من لا يتغير شيئًا.

والشرفان : كل منهما مطل على الميدان، والشقرا وصدر الباز، وبين النهرين، وليس إلاّ الآثار والأسماء على تلك المسميات.

وفيه يقول فى الشرف ـ الشمس النواجى[1] ـ رحمه الله تعالى ـ:

ألا إن وادى الشام أصبح آية ... محاسنه ما بين أهل النهى تتلى

وإن شرفت بالنيل مصر فلم تزل ... دمشق لها بالغوطة الشرف الأعلى

قال ابن المزلق[2]: ونقلت من خط العلائى، على بن الشرف الماردينى، فى غلام اسمه علىّ من محلة الشرف الأعلى:

جنى على ولكن وجهه حسن ... وفعله المرتضى يحلو به الشغف

بدر من الشرف الأعلى له نسب ... وهل لغير علىّ ينسب الشرف

---

(١) النواجى، هو: محمد بن حسن بن على بن عثمان، القاهرى، شمس الدين، أديب، شاعر، رحل وطاف بالبلدان، توفى سنة (٨٥٩هـ) انظر ترجمته: الضوء اللامع (٧/٢٢٩) .

(٢) ابن المزلق هو: عبد الله بن محمد بن أحمد، تقى الدين، البدرى، المصرى، الدمشقى، أبو البقاء، أديب مؤرخ، شاعر. من آثاره: نزهة الأنام فى محاسن الشام، والمطالع البدرية فى المنازل القمرية توفى سنة (٨٩٤هـ) .انظر: كشف الظنون (١/١٩٤) ، معجم المؤلفين (٢/٢٤٧) .

ولابن الشهيد[1] كاتب السر فى الشقرا، والميدان الأخضر قوله:

لم تحك جلق فى المحاسن بلـدة   قول صحيح ما به بهتـــان

ولئن غدوت منافسًا فى غيرها   ها بيننا الشقراء والميـــدان

ومن جملة الشقراء: طاحون، وعدة حـوانيت نحو عشرين حانوتا، ويعلوهم طبـاق مطلة على المرجة، وبآخـرهم مسـجد مطل على بردى، وأدركت الطـاحون غير دائرة، هدمها وكيل السلطان برهان الدين ابن ثابت فى أوائل دولة الأشرف[2] كانت المرجة عامرة بأهلها، وبعضهم سماها: صدر الباز، كانت تسمى به.

ولابن تميم يصف الميدان[3]:

عجبًا لميدانى دمشق وقد غـدا   كُلٌّ لـه شرف إلـيه يئـول

والنهـر بينهما لغير جنايـــة   سيف على طول المدى مسلول

ومن خط التقوى محمد الحموى قوله فيها:

ذكـرتُ أحبَّتِي بالمـــرج يومًا   فقوت أدمعى نيران وهجى[4]

وصرتُ أُكابدُ الأحْزَان وَحْدِي   وكَانَ النّاس فى هَرجٍ ومَرج

---

(١) ابن الشـهيد، هو: مـحمـد بن إبراهيم بن أبي بكرك فتح الدين، المعروف بابن الشـهيـد النابلسي، ولى كتـابة السر ومـشيخـة الشيوخ بدمـشق، عالم الأدب، فـقيه، مـؤرخ، توفى مقتـولاً سنة (٧٩٣هـ) انظر ترجمته: شذرات الذهب(٦/ ٣٢٩) الأعلام (٦/١٩٠)، معجم المؤلفين (٣/٤٠).

(٢) فى المخطوط قال بيتنا فى حقليد.

(٣) ابن تميم، هو: محمد بن يعقوب بن على الحموى، شاعر من الأمراء، له ديوان شعر، توفى سنة (٦٨٤هـ) انظر ترجمته: البداية والنهاية (١٣/٣٠٧)، معجم المؤلفين (٣/٣٢٩)

(٤) فى المخطوط نارًا لوهاجى والمثبت من النزهة.

ومن بديع القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر:

ومرجة فى واد يروقك روضهـــا ولا سيما إن جـــاد غيث مبكـــــر

به فاض نهـــر من لجين كأنــــه صفائح أضحت بالنجـــوم تسمـر[1]

تلاحظهــــا عين تفيض بأدمـــع يرقرقهـــا منـــا هنالك محجـــر

وكـــم غازلتـــه للغزالـــة مقلـــة تسارق أوراق الغصـــون فتنـــظر

إذا فاخرتـــه الريـــح ولت عليلـــة بأذيــــال كثبـــان الربـــا تتعـــثر

به الفضل يبدو والربيع وكم غدا به الروض يحيى وهو لا شك جعفر

الجعفر: اسم للنهر الكبير

ومن محاسنها: الأنهار السبعة المشهورة، وقد ذكرها المقدسى من جملة قصيدة له مشهورة أولها:

يا نسمــــــــة لثمت حبيبى وتمسكت منــــــــه بطيب

وغـــــــدا يحـــرك لطفهـــا أعطاف بانـــــات الكثيب

تمشى وتسحب[2] ذيلهـــــا قبل العيون مع القلــــــوب

إن جئت وادى جلـــــــق[3] ولثمت أفـــــــواه العذيب

ورأيت متلف بمهجتـــــــى يزور من لحظ غضـــــــوب

ترمى السهام لحاظـــــــه فترى الندوب على الندوب

ورأيت جامعها الشريـــــــ ـــف محـــل أرباب القلوب

---

(١) فى المخطوط تنثر والمثبت من النزهة.

(٢) فى الأصل: لمنى وعجب، والمثبت من تراجم بعض أعيان دمشق (١٣٦) .

(٣) اسم لكورة الغوطة كلها وقيل بل هى دمشق نفسها. ينظر معجم الأدباء [جلق] .

بـردى يـزيـل بـحـسـنـه [وبمائه] صـدأ القـلـوب

والبـانيـاس ونقـشـه عـفى عـلى كـنف وطيـب

ورأيتـه بـالـنيـربين دعـا المحب إلى الحـبـيب

فـتـخـالها برحـيـقـهـا المختـوم أرقم فى صـبـيب

ويـخـور تـوراها فـيـر وى الحـرث من تلك الشعـوب

ويـزيد دمـعـى إن ذكـر ت يـزيد سـحـا بـالذنـوب

سـأجـيب داعـيـة الهـوى إلا ودارانـى رقـيـبى

وهى طويلة نظمها ببلاد الروم، وهذه المياه مختلفة خفة وثقلاً، مع أنها شىء واحد كما أخبرنى من وزن ذلك.

وبدمشق أعين كثيرة، وأما السفح فلا يوجد فيه شىء من ذلك، وبتلك الأنهار نواعير فى بيوت ومدارس وقصور، وبطل كثير منها، ففى الصالحية نواعير، وفى دمشق نواعير إلى الآن.

أما فى الصالحية: ففى السليمية واحدة، وفى المرستان أخرى، والقصر عند مسجد العفيف، وفى أماكن أخر كثير، وفى الحديقة الأسعدية واحدة، وعند الربوة واحدة فى حديقة هناك، ولكن لا تبلغ عظم نواعيرها.

ومن محاسن ابن الوردى فى ذلك قوله[1]:

ناعـورة مذعـورة ولهـاءُ ثكلـى حائـره[2]

الماء فـوق رأسهـا وهى عليه دائـره

---

(١) ابن الوردى، هو: عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعري، الحلبي القاضي زين الدين الشافعي، فقيه، أديب، مؤرخ، ولى القضاء بمنبج، وتوفى فى حلب سنة (٧٤٩هـ) انظر ترجمته: الدرر الكامنة(١٩٥/٣)، النجوم الزاهرة (٢٤٠/١) . البغدادي : كشف الظنون (٥ / ٧٨٩) .

(٢) فى المخطوط دائرة والمثبت من النزهة.

ولابن نباتة[١] فى ذلك قوله:

ناعـورة قالت لنـــا بأنينهـــا ... قولاً ولم تدر المقـال ولم تَـعِ

كم فىّ من عجب يُرى مع أننى ... أبداً أسير ولا أفـارق موضعى

لا رأس فى جسدى وقلبى ظاهر ... للناظريـــن وأعينى فى أضلعى

وله أيضًا:

وناعورة شبهتها إذ رأيتهـــا ... وما زال فكرى بالغرائب يسمح

بطائرة مخضرة كل ريشـــة ... لها تحتها عين من الدمعِ تسفـحُ

ولابن الخطيب الأندلسى[٢] فى ذلك:

ناعورة تحسب من صوتها ... مقيمًا يشكـو إلـى زائـــر

كأنما كيزانهـا عصبـــة ... رموا بصرفِ الزمن القاهـــرِ

قد منعوا أن يلتقوا فاغتدوا ... أولهم يبكى علــى الآخـــرِ

ومن تحرير القيراطى:

وناعورة قد ضاعفت بنواحهـا ... نواحى وأجرت مقلتـاى دموعهـا

وقد ضعفت مما تئن وقد غدت ... من السقم والشكوى تعد ضلوعها

ولابن القضامى:

وذات شجـــوٍ أسالت ... مدامعًا لـم تَصُنهـــا

تبكى بفـرط دمـــوع ... ويضحـك الـروض منهـا

---

(١) ابن نباتة، هـو محمـد بن محمـد بن الحسن الجـذامى، الفارقى، المصرى، أديب، وشـاعر، ومـؤرخ، نشأ بالقـاهرة، وسكن الشـام، توفى سنة (٧٦٨هـ) انظر ترجـمتـه: الـدرر الكامنة (٤/٢١٦)، النـجـوم الزاهرة(١١/٩٥) .

(٢) ا بن الخطيب الأندلسى هو: محـمد بن عبـد الله بن سعيـد، السلمانى، الغرناطى، أبو عـبد الله، ولد سنة ٧١٣هـ ، أديب شاعـر، مؤرخ. من آثاره: طرفة العصـر فى دولة بنى نصر والإحاطة فى أخبـار غرناطة، وكتـاب إعلام الإعلام فـيمن بويع من ملوك الإسـلام قبل الإحتـلام . توفى سنة (٧٧٦هـ). انظر: الدرر الكامنة (٣/٤٦٩) ، شذرات الذهب(٦/٢٤٤) ، معجم المؤلفين (٦/١٦٧) .

ولابن نباتة أيضًا:

وناعــورة قسمت حسنهــا على واصف وعلى سامــع

وقد ضاع نشر الرُّبا فاغتـدت تــدور وتبكى على الضائع

وله أيضًا:

اعجَبْ لها ناعورة قلبُهـــا للمــاء منشى العيش والعشب

تعبانة الجسم ولكنهـــا تــرى طيبــة القلـــب

وللأمير مجير الدين بن تميم:

أبدت لنا بالعذر ناعــورة أدمعهـــا فى غايــة السكب

تقول لما ضاع قلبى وقــد ضعفت بالنــوح وبالنــدب

صيرت جسمى كله أعينا تــدور فى المــاء عـلى قلبى

ومن تضامين ابن تميم:

وناعـــورة شبهتهــا حين ألبست من الشمس ثوبًا فوق أثوابها الخضر

بـ « طاووس » بستان يدور وينجلى وينفض عن أثوابــه بلل القطـــر

ومن لطائفه ـ رحمه الله تعالى ـ:

ناعورة مُذ ضاع عنها قلبهـــا دارت عليــه بأدمــع وبكـــاءِ

وتعللت بلقائـــه فلأجـــل ذا جعلت تدور عيونهـــا فى المـــاء

ولبعضهم:

وناعـــــورة هيّجـــت يــوم بانــوا بنــا الجـــوى

فاعجبـــوا من متيــمٍ قلبه هـــام بالنـــوى

---

(١) التضمين هو: إيقاع لفظ موقع غيره ومعاملته معـاملته؛ لتضمنه معناه واشتمالة عليه. ينظر المعجم الوسيط [ضمن].

ولبعضهم:

نواعــــــيــــــر نعت لي رشـــــا لــلقــلب راعــى

فـــــهـــــام القـلـب منّـي علـى حـــســن النـواعـى

ولبعضهم:

لقـد كنت غصنًا فـى الرياض منعمًـا مِـيْسُ ونصبى فـى أمان من الخـفضِ

فـصيـرنا صـرف الزمـان كمـا ترى فبعض كـما لاقيت يبكى على بعضِ

ولبعضهم:

أبدى لنا الـدولات قـولاً مـعـجـباً لمـارآنا قـــــادمين إليـــــه

إني من العـجب العجـاب كمـاترى قـلبي مـــعي وأنا أدور عـليـــه

ولبعضهم:

وذات شـــجـــو أســـالت مـــدامـــعًـــا لـم تصنـهـــا

تـبكـي بـفــــرط دمــــوع ويـضـــحـك الـروض منهـــا

ولابن تميم:

وناعـورة قـالت وقـد ضـاع قلبـهـا وأضلعـهـا كـادت تُعـد من السـقم

أدور علـى قلبي لأنـي فـــقــــدته وأما دمـوعي فهي تجري على جسمٍ

ولبعضهم:

ودولاب إذا نـــــــــــاح يزيـد الصبّ أشْـــجَـــانَـا

ســـقـى الغـــصـن وغنّـاه فـــــلا يـبـــــرح سَكْـرَانَـا

ولبعضهم:

وحـــاملة لـلمـــاءِ مـــحـــمـــولـة بـه ... كما كان حكم الروح لـلجسم حاملاً

تمـيـل بـه طـورًا وطـورًا تمـيـلـه ... فـاعـجب بميـالِ بـهـا عـاد مـائلاً

وقـد قُسـمتْ شطرين بالفـرض مثلما ... تقـــسم وقت وهو مـــا زال ســـائلاً

إذا مـا امـتـلا شطر تصـعـد عـاليًـا ... ومـــهـمـا خـــلا شطر تحـدر سـافـلاً

كما كان حكم الروح لـلجسم حاملاً ... فلمـا خـلا منهـا هـوى مـتـثـقـلاً

ولبعضهم:

ودولاب يـــئـــن أنـــين صـــب ... كـــئـــيـب نازح الأهـلين مـــضنى

تذكـــر عـــهـــدَه بالـروضَ غُـصْنًا ... ومـــحـنة قـطـعـــه فـــبكى وأنّـا

ومـــــا يـدري أترديـد لمـعـنى ... شـــجـــاهُ أم حنينُ جـــوى المغنىًّ

وسأل بعضهم المفتي الغزى ملغزاً:

يـا أيهـــــا الحـــبـــــرُ الـذي ... عِلْمُ العــروضِ بـه امْـــتـــزجْ

بـــيّـــن لـــنـــا دائـــرة ... فـــيـــهـــا بســيط وهَـزَجْ

ففكر ساعة قال فى ذلك: الناعورة، البسيط: الماء، والهزج: نوع من الغناء يقال: صوت هزج، أى: طيب، وأراد بالدائرة: الدولاب، لا دائرة العروض ولا بحر البسيط، وفى لغة الفارسية: الدولاب يسمى الناوردة ، وعليه قول ابن النقيب السيد عبد الرحمن(١):

---

(١) ابن النقيب هو: عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحسينى، الدمشقى، المعروف بابن النقيب، أديب، شاعر، توفى سنة (١٠٨١هـ) . من آثاره: ديوان شعر. انظر: خلاصة الأثر(٢/٣٩٠) ، معجم المؤلفين (٢/ ١٢١) .

يا هلالاً يدُور فى فَلَكِ النـــا ورد رفقــا بالأعين النظّــاره

قِفْ لَنَا فى الطريقِ إذ لم تزرنـا وَقْفَةٌ فى الطريـق نصفُ الزيارة

ولعله اسم مشترك فى كل دولاب، ويحتمل أن يكون الناورد اسم قبة الدولاب التى يركبها الأولاد أيام العيد وتدور فيهم، أو يكون مثل الفلك وله اسم آخر، والناعورة ودولاب الغزل ودولاب الهوى كلها شيء واحد فى العربى[1].

ولبعضهم:

ودائرة تــدورُ بوسْطِ مــاءٍ وقـد أعيـا لأضلاعِهَا الفتـل

أقامت لها الأدلاء تنزح ماءها لتخلص من عين وما قصدها نهل

محلتا الخلخال والمنيبع:

قال ابن المزلق فى « نزهة الأنام »: « بها سويقة، وحوانيت، وفرن، وحمام، وهى مسكن الأتراك، وكذلك المنيبع، والشرفين، وبهما تدق طبولهم كالدار المنسوبة لابن جان بلاط[2]؛ أعنى الكوجانية قبل أن تجعل مدرسة » .

قال: وبها رواقان للأدهمية[3] وهى تحف بالنّاس والأعيان.

وما أحسن قول ابن نباتة فى الخلخال:

يا حبذا يومًا بوادى جلقٍ ونزهــة مع الغــزال الخالــى

من أول الجبهة قد قبلتـه مرتشفًا لآخـــر الخلخـــال

والمنيبع: بها أيضًا سويقة، وحمام، وفرن، وبها مدرسة الخاتونية، وهى من عجائب الدهر، يمر بها بانياس، ونهر القنوات على بابها، وهى مطلة على الخضراء،

---

(١) أى فى العربية.

(٢) ينظر ترجمته فى الدرر الكامنة(١ / ٣٥٥) .

(٣) ينظر منتخبات التواريخ لدمشق لمحمد أديب (٢ / ١١١٢) .

وبهـا ألـواح الرخـا م، وعـدة خلاوى للطلـبة، وبجـوارها دار الأمـيـر ابن منجك». انتهى.

قلت: ولعلهـا التى يقال لهـا الآن: الزهرابية، سميت باسم رجل من الأروام يسمى زهراب، وهى التى يفتح بابهـا إلى الصوفية، وهى التربة المشهـورة، بها قبور أعـيان الـعلماء؛ كـابن تيـمـية، والعـمـاد بن كـثيـر، وابن الصـلاح، وصـفى الدين الهندى، وغيرهم من الأجلاء.

ويقال لهـا: تربة البرامكة، وكـانت فى القديم مـحلة عظيمة عـامرة بالبـيوت والدور الهائلة فى الشرف، الأدنى كالأعلى؛ فسبحانه وتعالى.

قـال فى « نزهة الأنام » للأديب ابن المزلق: نقلت من خـط المرحوم الشـمس النواجى قوله فى وصف المنيبع:

ايا سادةً أهدَوْا محاسنَ جلـق | لطرفِى فغاضَتْ بالبكا عبراتى
منيبع جفنى فوق ربوة جبهتى | يزيد ودمعى بعدكم قنواتـى

قلت: وهذه من جمـلة المحلات المتنزهة، والآن لم يبق من المتنزهات العـامرة غـير الصـالحية، وأمـا هذه الأمـاكن كـ « الشرفـين » وصدر البـاز فـإنها تعـوضت بالبساتين والحدائق والقصور، وكما فى الشرفين، ذلك. ولم يبق مما ذكره ابن المزلق من النيرب، والخلخال، والجـبهة، والربوة إلاّ الأماكن المجردة عن العـمائر؛ بل كلها متنزهات فـسحة مجـردة من العمائر كـالميدان، وأما غـالب المتنزهات المعدة لذلك بالصالحية، وأنها فى أيام الورد ينزلهـا أهل دمشق، وتملؤها، وتمكث بها ليلاً ونهاراً حتَّى تنقضى مـدة الورد، ومنهم مَنْ يأتى بجميع الحوائج، ومنهـا عند القصورية[1]

(١) أى من تقيم على خدمة السائحين.

المعدة للمتنزهين من الصحون، والمعالق، والطناجر، [١] واللحف، والبسط، وبها مقاعد لا تحصى مما يغنى عن الحمل، وحدائق للنزهة.

وأما بساتينها فقلّ أن يجعل فيها مقعد للسرنجية[٢] إلاّ النادر.

وأما النيرب والدهشة فكله متنزه، غاض الأشجار غزير الماء، كثير الأثمار، بعد ذلك الدور والعمائر، وتغزل به الشعراء المتأخرون أيضاً.

قلت: ومن المحلات الظاهرة: الصالحية، وقد أتى عليها صاحب كوكب الملك، وهى من محال دمشق العامرة، تشتمل على عمارات هائلة قديمة، وقد تقدم ذكر مدارسها وتعين حوانيتها من الذى اشتهر، وبها آثار قديمة، وبها مغارة الدم، والكهف؛ إنه المغار، والمقيم به كان يسمى جبريل، وبه كان مئذنة، وبها مساجد لا تحصى.

وأما الجوامع: فخمسة، وتشتمل على قباب كثيرة؛ فتبلغ المئات على قبور علماء وأمراء، وبها زيارات مباركة، يُنذر لها وتُقصد بالزيارة غالبًا[٣]؛ كالشيخ محيى الدين بن عربى ـ قدّس الله تعالى سرّه ـ والشيخ أبو بكر العرودكى[٤] ـ قدّس الله سرّه ـ وابن قوام، والشيخ محمد الزغبى، قدّس الله سرّه ـ ومياهها صافية، وبها قصور، ومقاعد، وجناين، وحدائق الياسمين، والبساتين دائرة حولها من كل الجهات، وهى متنزه الشام فى كل وقت، خصوصاً فى أيام الورد أكثر.

---

(١) الطناجر، مفردها الطنجرة: قدر من نحاس، تركية.

(٢) أى المتنزهون وهى كلمة تركية

(٣) وهذا مخالف للحديث الصحيح قوله ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولدٌ صالح يدعو له »، ويمكن القول بأن الفترة التي عاشها المؤلف سيطر على عقول الناس التصوف بطرقه المختلفة ممزوجة بالخرافات التي يذكرها مؤرخي الفترة عند ذكرهم للقبور المشهورة. انظر ص ١٠٤ من الكتاب ومعروف بأن البناء على القبور لا يجوز محرم وكذلك التبرك بزيارة القبور، وأما النذر لغير الله فهو شرك أكبر مخرج من الملة وكل ذلك يعد من أحوال الزيارة البدعية، والزيارة الشرعية تكون للاعتبار والعظة والدعاء للموتى، لا دعاؤهم والتبرك بهم.

(٤) هو أبو بكر العردوكي ينظرترجمته في القلائد الجوهرية (١ / ٢١٠) .

وأما مدارسها: فهى أكثر من مدارس الشام بكثير كالعمرية، والناصرية، والضيائية، والصارمية، والمتواتر أن فيها قبور كثير من الأنبياء، وبها المزارات بالمفخمة؛ كالعجمية، والإيجية، والكيلانية، والخوارزمية.

وحدها ـ كما قال ابن عبد الهادى ـ المحدث: الشرف الأعلى قبلة، ثم أرض حمام الورد، ثم أرض مرج الدحداح، ومن جهة الشرق أرض بيت لهيا ثم مسطبة السلطانى، ثم برزة، ومن الشمال الجبل.

وأما السفح فحده: من الربوة إلى برزة، والربوة إلى جسر شواش، فكل ما كان فهو من الصالحية، وتغزل به الشعراء.

وللبورينى(١) العلامة مواليا قوله:

بالسفح من قاسيون الشام نحو السهم　　رشا من الترك لكن ناظره من سهم
يرنو فيرمى بقلبى من لحاظه سهم　　ما يمنعوا لو جعل لى من وصاله سهم

ولابن نباتة فى متنزهات دمشق وهى السهم والسطر:

يا صاح ما فى جلق نزهة　　تنسيك من أنت به مغرى
يا عاذلى داؤك من لحظه　　سهمًا ومن عارضه سطرا

وأخذ منه الجلال بن خطيب داريا:

سألتكما بالله إن جئتما الشام بكرة　　وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقرءا منّى كتابًا كتبته　　بدمعى لكم مغرى ولا تنسيا سطرًا

---

(١) البورينى هو: حسن بن محمد بن محمد الصفورى الأصل، الدمشقى، الأشعرى بدر الدين، مفسر، أديب، مشارك فى بعض العلوم. من آثاره: تراجم الأعيان من أبناء الزمان وله رسائل أدبية مختلفة، توفى سنة (١٠٢٤هـ)، انظر: هدية العارفين (١ / ٢٩١)، معجم المؤلفين (١ / ٥٨٩).

والسطرا: كان محلة مقابل جامع المنجك عند برج الروس، وهو الطريق الآخذ للسفح مقابل باب الجامع، والآن أحسن متنزه؛ لأن بساتينه وحدائقه لا تحصى، ليس فيها موضع شبرٍ خالٍ من الزرع والأزهار، وإن كان قبله كان فيه عمارة، وفيه بستان الباشا المشهور بيدبنى الأرنئوط، بدمشق، وغيره أكبر منه، ومن المحلات العامرة المتنزهة التابعة للصالحية الجسر الأبيض، وبه سويقة وطابونة، ومكان للقصف، والنزهة وسمى الآن القهودة، وعزاز، وسمان، وحمام عبد الباسط، وهو من أنزه الحمامات، ولصقه حارة عامرة، وقصور لبعض الكبراء يكونون فيها أيام الصيف، وقربها الماردانية، وفيها خطبة، ولصقها المدرسة الإبراهيمية، وقربها الباسطية أيضاً، وحدائق لا تحصى متصلة كلها مشتبكة بالزروع والأشجار، وقبل ذلك كان محلات كالسهم، وهى بيوت متصلة، والآن حدائق وبساتين، وقربه محلة الشلبية[1]، وبه حمام وسوق كالجسر الأبيض، وحدائق، وبيوت لبعض الكبراء كدار شنتمر وغيره، وقريب منها محلة السبع قاعات.

قال الحافظ ابن عبد الهادى فى « تاريخ الصالحية »: دخلها وكانت منهدمة، وكان محلة الركنية، وهى الآن لا أثر بها، ومحلة جامع النحاس، وبه جامع بخطبة، وحمام، والآن لم يبق سوى تربة قرب الركنية، ومحلة طاحون الشنان، وهى الآن لا أثر بها سوى المدرسة الرحيمية، والقبة، والتربة مسكن إلى الآن، وهو مكان مبارك، وكان به خطبة بَطلت فى عصره وألف.

وهناك فى ذلك الخط قباب وترب عظيمة على خط المدرسة، ومحلة طاحون الشنان عندها مئذنة، ومسجد، وحمام، وحوانيت، وقربها محلة قصر اللبان، وعنده تربة عظيمة.

---

(١) محله عند جسر كحيل. ينظر: ثمار المقاصد ص(١٤٨) .

قلت: وكان لها محلة أخرى يقال لها: الميطور، وتغزل به الشعراء، وكان بها دار الحافظة المحدثة: كريمة، وسماها فى « كوكب الملك ودولة الترك» : مدينة الصالحية؛ لعظمها وكبرها وكثرة جوامعها ومدارسها وخوانقها إلى قرب دير مران، وتقدم أنها اشتملت على نحو عشرين حمامًا.

وأما مدارسها: فنحو المائة ما عدا الزوايا والجوامع والمساجد والترب المكلفة والآبار.

وبها قبور الأعلام والأولياء الفخام، والآن لم يبق إلاّ الذى انتشأ من زمن أبى عمر صاحب المدرسة المشهورة، والذى كان قبله تحت يزيد من السهم والميطور وقصر اللبان والنيرب والدهشة، والربوة لم يبق إلاّ الاسم، وتعوضت مكان العمارة بصنوف الأشجار والثمار، يقلب الله اللّيل والنهار، والآن بها خمس خطب: السليمة، والمظفرية، والخاتونية، والماردانية، والحاجبية، وكان قديمًا يصلى الجمعة بالجامع الأفرم، وبطل، ووجدتُ بخط بعض العلماء: أنه كان بالناصرية خطبة، وفى الربوة وفى الدهشة، لكن لم يكن تجدد هؤلاء، وبالسليمية كان خطبة وهى بالمدرسة البدرية، وأدركها بعض من أدركنا ممن أدركه، والآن بها خمسة حمامات.

وأما القصور، والحدائق، والجناين، والمقاعد: فمما لا يحصى، وليس فيها شىء من ذلك خراب.

محلة الربوة

قال الأديب ابن المزلق فى « نزهة الأنام فى محاسن الشام »[1]:

ومن محاسن الشام: الربوة؛ محلة الربوة أحدثها بنو كنعان.

---

(١) انظر: مخطوطة (نزهة الأنام فى محاسن الشام) لابن المزلق. ل (٢٨) .

قال بعض المفسرين فى الربوة: أحدثها بنو كنعان وابتدءوها، وذكرها الله فى القرآن فى قوله - تعالى - ﴿ وءاويناهما إلى ربوةٍ ذات قرارٍ ومعين﴾ [المؤمنون: ٥٠].
وهما عيسى ومريم، عليهما السلام.

قال الحافظ فى « تاريخ الصالحية»: قال عدة من العلماء: إنها ربوة دمشق(٢).

وذكر البيضاوى فى تفسيره هذا القول، وقال به الدينورى فى تفسيره.

والربوة: المكان المرتفع.

والغوطة: الوادى المتسع.

قال ابن المزلق(٢): وإنما قيل لها ربوة؛ لأنها مشرفة على الغوطة بها مغارة لطيفة بسفح الجبل الغربى، وبه صفة محراب يقال له: مهد عيسى - عليه السلام - يزار، وينذر له(٣)، وبها جامع، وخطبة، ومدارس، وعدة مساجد، وقاعات، وأكناف، وبها الملثم(٤)، ومرابط للدواب، وبها سويقتان قاطع بينهما نهر بردى، وبها صيادة السمك، والقلايون على بردى، ويذبح فيها كل يوم خمسة عشر رأسًا من الغنم سوى ما يجىء من الشام، وبها عشر شرايحية ليس شغلهم غير الطبخ، وبها فرنان، وثلاثة حوانيت برسم الخبز التنورى، وبها الفواكهة، وليس لها قيمة لكثرتها كالمشمش والتفاح وغير ذلك، وفيها حمام ليس على وجه الأرض مثله لكثرة المياه ونظافتها، وله شبابيك تطل على الأنهر، وهو بين النهرين لعله بردى وتورا، بل بين القنوات والبانياس فى الجهة الغربية قرب صفة المصافى، وخرب

---

(١) قيل أن المقصود بالآية هي إيليا أرض بيت المقدس وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة ، وقيل مصر ، انظر الكشاف الزمخرشي ٣/ ٣٣ /

(٢) انظر: مخطوطة (نزهة الأنام فى محاسن الشام) لابن المزلق(ل ٢٩) .

(٣) وهذا المزار من قبل عباد الصليب وليس أهل الإسلام.

(٤) فى المخطوط المقسم وهو تحريف والصواب ما أثبتناه. ينظر الحصن منتخبات التواريخ(١٠٤ ١) .

وصار مقصفًا أرضًا لبنى القلوجى[1]، ثم انهدم؛ خوف المفاسد، وكان بها المدرسة للمحدث الديلمى الذى جددها نور الدين الشهيد، ولها أوقاف على قراء، وقراءة البخارى، وواعظ، ومؤذن، وفرَّاش، وبَوَّاب.

وقال فيه التاج الكندى:

إنَّ نورَ الديــنِ لما أنْ رأى[2]   فى البساتينِ قصورَ الأغنياءْ
عَمَرَ بالربوةِ قصرًا شاهقًا   نزهة مطلعــة للفقــراءْ

وهذه القاعة بناها نور الدين الشهيد على شعب الجبل - يعنى الشرقى - جميعها منحوتة بالأخشاب، سقفها نهر يزيد، وأساسها نهر تُورًا، ومنظرها من الغايات التى لا تدرك، وقبالها الجبل الغربى بذيله دف الزعفران، والشرقى بسرامسة مثل الجنك[3].

وأطنب الشعراء فى وصفها، قال ابن نباته[4]:

بالجَنْك من مغنى دمشق حمائمٌ   فى دف أشجارٍ تشوقُ بلُطْفِها
فــإذا أشــار الشجــر برأســه   غنّت إليــه بجنكِها وبدُفهــا

وللصلاح الصفدى[5]:

انهض إلــى الربــوة مستمتعًا   تجـد من اللــذات ما يكفى
فالطير قــد غنى على عــوده   فى الروض من الجنك والدف

---

(١) فى المخطوط القلوصى وهو تحريف والتصحيح من المنتخبات (٢ / ٥٨٣) .

(٢) يبدو لى أن الكلمة فى المخطوط ((بنى لى)). والتصويب من ابن المزلق.

(٣) آلة للطرب تقدم بيان معناها.

(٤) انظر مخطوطة (نزهة الأنام فى محاسن الشام) لابن المزلق(ل ٢٩) .

(٥) انظر: الموضع السابق، والصلاح الصفدى هو: خليل بن أيبك بن عبد الله، الصفدى، الشافعى، صلاح الدين، أبو الصفاء، مؤرخ، أديب ناظم. من آثاره، لذة السمع فى وصف الدمع وألحان السواجع بين المبادىء والمراجع، توفى سنة (٧٦٤هـ)، انظر: البدر الطالع(١/٢٤٣) ومعجم المؤلفين (١/٦٨٠) .

ولبدر الدين بن حبيب الحلبى:

كم تحت جنك الربوة الفيحاء من ... دف زهت أزهاره بشنوفهـا

سقيًا لها من ربوة من حــل فيــ ... ـــها أطربته بجنكها ودفوفها

وللشرف شعبان:

أود بِأنِّى لـــو أرَى الجَنْــكَ ساعـــةً ... وأنفـــق فيهـــا كـلَّ ما أنا أملكُ

فليس لنفسى فى هوى الجنك مطلَبٌ ... ودعهم يقولوا فيه للصَّبِ مهلكُ

قال ابن المزلق[1] : ونقلت من خط الشرف القواس:

سر بى إلى الوادى وقف منتزهًا ... فالجنك غنَّت فوقه الأطيارُ

لو لم يكن هو جنة المأوى لنـــا ... ما كان تجرى تحته الأنهارُ

ونقلت من تحرير القيراطى قوله[2]:

سقى الجنك مُنْهَل الرباب فشوقــنا ... لطيب معالى أرضه ما لـه حصـــر

وحيىٍّ بقُطْر الشام أنهارهــــا التــى ... على شهدها للدمع من مقلتى قطر

وجادت سماء الغيث أرض سمائها ... غصون رياض الزهر آفاقهـــا الزهر

فكـــم جـــاءنى منها نسيم مُمَسَّك ... وعرفهـــا للقادمـــين بهـــا العطـــر

وطلع الشمس الخياط ضفدع[3]، مع ابن خلكان القاضى إلى الربوة، فـوجد غلمانًا يعومون بتورا تحت النحوت المعروفة بالمنيقبة فأنشد[4]

(١) انظر: مخطوطة (نزهة الأنام فى محاسن الشام، لابن المزلق(ل ٣٠) .

(٢) انظر: الموضع السابق.

(٣) محمد بن يوسف الملقب بضفدع (ت٧٥٦ .(ينظر: النجوم الزاهرة (١٠/٣٢٠) .

(٤) انظر مخطوطة (نزهة الأنام فى محاسن الشام) لابن المزلق(ل ٣٠) .

لربوتنا وادٍ حوى كلَّ بهجةٍ ... فَعَيشُ الورى يحلو لَدَيه ويعذب

تزف له الأنهار من تحت جنكة ... فلا عجبا أنـا نخوض ونلعب

وأنشد ابن خلكان - رحمه الله تعالى - أيضًا بقوله[١]:

وسرب ظباءٍ في غدير تخالهم ... بدورًا بأفق الماء تبدو وتغربُ

يقول خليلي والغرام مصاحبي ... أما لك عن هذى الصبابة مذهبُ

وفى دمك المطلول خاضوا كما ترى ... فقالت لهم: دعهم يخوضوا ويلعبوا

قلت : وغيرت أبيات الآثارى السابقة:

أود بأني لو أرى الجنك ساعة ... وأنفذ فيه ما نحب ونطلب

وليس لنفس في سوى الجنك مأرب ... ودعهم على سمعى يسبوا ويقشبوا

وزدنا فى مراعاة المثل، قال الشمس بن طولون فى « نوازل الزمان » :

وفى يوم السبت سادس عشر منه - أى محرم - سنة أربع عشرة وتسعمائة: ذهب الشيخ عبد القادر بن حبيب الصوفى الصفدى إلى الربوة، وكانت ملآنة من الخلق، وشق فى سوقها الرعاع، ومعه جماعة يعملون بالكف والشباب[٢].

قيل: كان العمار إلى ذلك الحد، ثم صارت وقعة قازان[٣]، فهدموا منها للحرب فخربت، ثم أرسل ملوك مصر أن يعمروها فلم يفدوا.

وقيل: كان بها على حافة تُورا تخوتٌ للنزهة نحو المائة وعلى غيرها من الأنهار، وكان بها قبة الخضر، اسم رجل من مشايخ الملك الظاهر بيبرس.

---

(١) انظر مخطوطة (نزهة الأنام فى محاسن الشام) لابن المزلق (ل ٣١) .

(٢) الشباب: ما يوقد به النار. انظر: القاموس المحيط، مادة [شب]، والكف ربما يقصد به هنا قراءة الكف .

(٣) وهى غزو غازان على الشام ملك التتار ينظر ترجمته فى ابن العماد والشذرات (٤/٦).

وفيها مكان يقال له: العاشق والمعشوق.

وأما المئذنة عند المنشار لصيق يزيد باقية إلى الآن، وأما المسجد والدور.

قال النعيمى[1] - رحمه الله تعالى - فى كتاب الدارس فى الجوامع والمدارس « - فقال فى ذكر الجوامع: جامع الربوة، قال الذهبى فى ذيله: فى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة فى شهر ربيع الأول جدد جامع فى الربوة بخطبة وإمام ومؤذنين، وقال: جامع النيرب وهو بخطبة وهو فى محل الربوة أيضًا.

قال: قال الحافظ ناصر الدين فى مسودة توضيحه[2]: النيرب: قرية من قرى الغوطة، وهى قرية حسناء من قرى دمشق من إقليم بيت لهيا، كثير المياه كثير الأشجار، وبها جامع حسن تقام فيه الجمعة، ويقال فى شرقيه قبر حنا: أم مريم، عليهما السلام.

قال ابن شداد: وليست مريم بنت عمران، ولها مكانة.

وفى « تاريخ دمشق » لابن عساكر[3]: أن الخضر - عليه السلام - يبات فى هذا المسجد ويصلى فيه.

ويُرْوى أن عيسى - عليه السلام - كان يصلى فيه.

وقال ابن كثير[4]: فى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة توفى أمين الدين محمد بن محب الدين بن محمد بن أبى العيش الأنصارى الدمشقى، وصلى عليه بالأموى، ودُفِنَ شمالى الجامع المظفرى بالسفح، وكان من التجار الأتقياء

---

(١) انظر: الدارس فى تاريخ المدارس (٢/٣٣٩) .

(٢) انظر: الدارس فى تاريخ المدارس ((٢/٣٣٨) .

(٣) انظر: تاريخ دمشق(١ / ١٤٥) .

(٤) البداية والنهاية (١٥/١٨٢) .

الأماجد، ودخل اليمن، وعمر تحت الربوة مسجدًا على حافة بَرَدَى، وتكلم على جامع النيرب، وعمر مطهرة إلى جانب مسجده، والسوق الذى هناك، وله بجامع النيرب خزانات، وهو ميعاد حديثه، وعمل وقتًا فى المسجد فى الحديث قبيل صلاة الجمعة.

قلت: وبقيت مئذنته إلى يومنا هذا.

وأما القبة باقية، وفيه نظر؛ لأن القبة لصيق الجامع، وفيه قبر معظم، والمؤرخون ذكروا أنه دفن شمالى المظفرى؛ فليتأمل.

وأما مبادئ الخراب؛ فمن تاريخ ما ذكره النعيمى[١] فى مدرسة الإسعردية، قال ابن قاضى شهبة فى الذيل: وفى جمادى الأولى[٢] سنة ست عشرة وثمانمائة خراب ثلاثة أماكن أحسن متنزهات دمشق: الدهشة، وبستان النشوة على حافة توراء عند الربوة، وبستان ابن جماعة بالمزة، وهذا نقلت آلته إلى مدرسة الخواجا بن الأسعردى، وانتفع الناس بها، وفرغت العمارة فى سنة سبع عشرة وثمانمائة.

ويستفاد من كلامه تاريخ الخراب البات، وإلا فالنيرب حرقها العادل[٣] من الحصار سنة خمس وخمسين وخمسمائة، لكن لم تتلف بالكلية أو أنه تاريخ تلفها، والربوة والدهشة بقيت إلى هذا التاريخ، وهو عصر الثمانمائة.

قلت: وسبب الخراب فى هذه المحلات من الربوة وغيره كالنيرب ـ الواقعات ـ ؛ كوقعة قازان، ووقعة ملك الألمان[٤].

---

(١) انظر: الدارس فى تاريخ المدارس (١/١١٣)، مع اختلاف فى اللفظ .

(٢) فى الدارس: الآخرة.

(٣) فى المخطوط القادر وهو تصحيف إذ العادل قد غزا دمشق فى هذا الوقت.

(٤) وهى واقعة حصار ملك الأفرنج الصليبيين لدمشق كما بين المصنف ذلك بعد ويقصد به الامبراطور (كونراد الثالث) الذي خرج على رأس الحملة الصليبية الثانية وحاصرت دمشق .

قال النعيمى[1] فى « الدارس »: سنة (٥٤٣هـ): نـزل الفـرنج على دمـشق، وكان نائبها أمير الأمراء آبق بن محمد بورى، والمدبر لها أنر، ولم يشعروا إلا وملك الألمان قـد خـيَّم على أراضى المزة، ومـا والاها، وزحـف على البلد بخـيله ورجله وكان معه نحو تسعين ألف[2] راجل وعشرة آلاف خيالة، فـخرج إليه معين الدين، ومجير الدين، يعنى أيز وآبق فى مـائة ألف وذلك يوم السبت فى شهر ربيع الأول، وقاتلوا قتالاً شديدًا، وقُتِل شيخ المالكية الفندلاوى عند النيرب قرب الربوة، والشيخ الزاهد عبد الرحمن الجلجولى، وقتل نحو المائتين؛ فكسر الكافر الملعون، وكف الله شرَّه، والآن لم يبق إلا المـروج على حافة الأنهـار، والحدائق، والبسـاتين لأربابه من دمر والمزة، وإلى الآن لا ينقطع التنزه إليـها، وليس فيه مكان عـمارة، لكن أدركت النوفرة، وهـى فى مكان تحت صفة العـوافى غربيـها عمـارة مكلفة يبـات فيـها أيام الصيف، ومـقعد على نهـر بردى شرقيـها، ومكان آخـر لمقعد الأكـابر غربى الربوة أيضًا، فخربه المتـقدمون ولم يجدد، والنوفرة خربها بعـض ذرية من أنشـأها محمد جلبى الفلوجى لفـساد كان يقع، والمكان الآخـر مثله، وخُـرِّبَ الجميع، وكـان بها القبة الخضراء، ولم نـدرك لها أثرًا، وكان عين السخنة أدركتها، وعليهـا قبة صفراء والآن خربت ونشـفت، ولم يعلم لها خبر، والقـبة خربت وكان مـحلها بين بردى والقنوات غربًا، وبقيت المئذنة عند يزيد، وهى الآن [.....]

والحاصل أن الربوة إلى الآن لهـا روحانيـة وهى لا توجد فى غيـرها [وجرب فى عداها بـأشياء،] ولا يقـع فى الجلوس فيـها سأم أصـلاً؛ بل ينسى الإنسـان همه وغمه وغيـه وجميع الأحوال، وعليـه يقول **مولانا الشيخ عبد الغنى ـ قدّس الله تعالى سره[3] ـ :**

---

(١) انظر: الدارس (٢/٨) .

(٢) فى الدارس: ستين ألف(٢ / ٨) .

(٣) مصطلح صوفى يذكر عند علماء الصوفية لم يرد به أصل صحيح .

إن فـي الـربـوة ســــــــــرّاً ليـس يُبـــــــــديه الـكـلامُ
فـــإذا مـــا كُنت فـــيـــهـــا فـــتـلـى الســــأمَ الســـلامُ

ولبعضهم وأجاد فى المقال:

سَـقَـى الوسـمىُّ سـفح النيـربين وَصَـــالَ حـــيـــالهـــا بالـواديين
ديار إن جـــفـــاها الـغـيـث يومًـــا ســـقـــاها الـغـيـثُ دَمَـع المُقلتين
حــوى الـشــرفين ناديهـا فــزفت بـهـــــــاالولـدانُ بين الجنـتـين
وصـدر البـاز أشـرَحُ فيـه صـدري بنبســمــةِ نشـرهِ في الخـافـقين
وألثَمُ مـهـدها كـالشـهـدِ طعـماً وأرتَـعُ فـــي ريـاضِ الـربـوتـين
فــــيــــاالله من تـورًا أراها وأنظر حـسن بهـجـتـهـا بعين
فـيـاحـادى السـرى عُج بالمطايا وَعَـرِّج نحـوَ مـرج الغـوطتين
وبلغ واردي الـقنوات دمـعـــاً سـلام قـتيـل شوق الجبـهـتين
أعـلل بـالمنى قـلبًـا عـليـلاً وأنشـــد نـاظراً لـلفـــرقـــدين
وأنشـــد كلمـــا قـــد لاح برق ســقـى الوسـمى سـفح النيـربين

ومن محاسن الشام: المقاسم، داخل الربوة الذى ينقسم منها الأنهار، وأصل بردى من منابع التوت.

وإلى ذلك أشار البرهان القيراطى:

عندي لأهـل الشـام فـرط صـبـابة فسقى حماها الرحب صوب عنوت
وعـيوننا لفـراق مـشمـسـهـا حكى جـريان أدمـعـهـا عـيـون التـوت

ثم تمر على قرية الزبدانى كالبحر إلى أن تلتقى بعيون الفيجة.

قلت: وهى أول العيـون، وقيل: من باب [السلام إلى ظاهر باب توما][1] ثلاثمائة وستون عينًا تجرى إلى القبلة.

قال: وارتويت من أعذابها ورأيت غالبها، وهو أبعد مقسم، ثم بعده تورًا أول جريانه فى الربوة بالجبل الشرقى، وبردى بطنه، ونهر البانياس، وفوقه نهر القنوات، ونهر المزة، وبعده الدارانى بذيل الجبل الغربى، وينزل الماء فى المقاسم نحو عشرين درجة؛ كالشادروان[2] الذى رؤيته تزيل الأحزان، وما ألطف قول القاضى صدر الدين الآدمى قوله:

وما ذكرتكـم إلا وضعت خـدى ... على حرارة قلبى قل ما بـردا

وما تـذكرتكـم والدمـع يسرقنى ... إلا تحدر من ماء عينيَّ ما شـردا

قالـوا : فـؤادك بَرِّد عـن محبتهـم ... فقلت: نار الهوى لا تنطفى أبدا

بردت قلبى عن الأحباب مُذ رحلوا ... بمـا يزيد على تـورى ومـا بردا

وقال صاحب الإنشاء العلاء بن فضل الله[3]:

انـزل بانيـاس ففـى نهرهـا ... شربٌ يحاكـى عروس السرور

واسمع حديث المـاء فى جريـه ... فإنَّه يشفى غليـلَ الصـدور

وجمعهم الشيخ شعبان الأثارى[4] بقوله وأجاد:

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من النزهة.

(٢) الشادروان: آلة لفصل مياه الأنهار عند التحويل، وهى ألواح خشبية متينة يوضع خلفها أعمدة لتثبيتها فيرتفع مستوى المياه فى النهر؛ لتسقى الأماكن المرتفعة، ويظهر ذلك واضحًا فى منطقة الشادوران على نهر بردى غرب دمشق ، واستبدلت بحاجز أسمنتى قبل سنوات (١٩٨٥م) ، انظر : معجم الألفاظ التاريخية (١/٩٥) .

(٣) أحمد بن يحيى شهاب الدين ترجمته فى شذرات توفي (٧٤٩) أعلام (١/ ٢٦٨) .

(٤) شعبان بن محمد بن داود المصري شذرات(٧/١٨٤) ت (٨٢٨) .

شـوقي يزيدُ وقلـب الصبِّ مـا بردا		وبات يأسى من المعـشـوق حين غـدا
ومـدمـعي قنواتٌ والعـذول حكى		تورًا يَكُـونُ في عـشـقـه حـسـدا
على مُنَيِّـفَـةٍ بالجنك جـاوبهـا		شَبَّابَةٌ كم لها في عاشق حسدا
فالبـدر جبهـتـها والدف ربوتها		وحبُّـهـا مـات في خلخالها كـمـدا

ومن محاسن الأمير ابن درباس:

والنهـر قـد عـشقَ الغصون ولم يزل		أبدًا يمثِّل شـخـصَـهـا في قلبـهِ
حـتى إذا فطن النسـيم فـجـاءها		من نـخـوة فـأمـالهـا عن قـربهِ
وأتى عـليـه مـهـيـمنًا بغنائهِ		سـرًا فـحـيّـد وجـهـه من عُـتْبِـهِ

ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي[1]:

مـا فـتَّح النَّور إلا أشـرقَ النورُ		فـمـا اشـتـغـالُكَ والمنثـورُ منثـورُ
ياجنة ودروع الماء ينسـجـهـا		أنامل الريح لولا أنهـا زُور

ولابن قرناص[2]:

وتحـدثَ الماء الزلال مع الحـصى		فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكأن فـوق الماء وشـيًا ظاهرًا		وكـأن تحت الماء درًا مـضـمـرا

وقال ـ سامحه الله ـ:

أيا حـسنهـا من رياض غـدا		جنوني فنونًا بأفنانهـا
مـشى الماء فـيـهـا على رأسـه		لتـقـبـيل أقـدام أغـصـانهـا

---

(١) ابن لؤلؤ الذهبي هو: يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الدمشقي الذهبي، بدر الدين، من شعراء الدولة الناصرية بدمشق. من آثاره: ديوان شعر، توفي سنة (٦٨٠هـ)، انظر: كشف الظنون (٧٦٨) معجم المؤلفين (٧١/١).

(٢) ابن قرناص هو: إبراهيم بن محمد بن هبة الله الخزاعي، الحموي، شاعر، أديب. من آثاره: ديوان شعر، توفي سنة (٦٧١هـ)، انظر: المنهل الصافي(١٢٢/١)، معجم المؤلفين (١ / ٧١).

وقال أبو القاسم بن عليّ في منار الأغصان في الماء:

انظر إلى الأغصان كيف ترقرقت ... فبدا بها شبح الغصون الميَّس
معكوسة الأنكالِ تحسبُ أنها ... قامت على الأيدى له والأرْؤس

وأبدع منه قول المنازى[1] من قصيدة:

نزلنا دوحة فَحنَا علينَا ... حُنُوّ المرضعات على الفطيم
وأشْربَنا على ظمأٍ زُلالاً ... ألذ مِن المدامة للنديم

وما أحسن قول ابن المشد:

والروضُ بين تكبُّرٍ وتواضُعٍ ... رَكَعَ القضيب به وخر الماءُ

وقول ابن النبيه:

تبسَّم ثغر الزهر عن شنب القطر ... ودبَّ عِذارُ الطلِّ فى وجنةِ النهرِ
فإن رقّ واعتلّ النسيم صبابةً ... إذا مرّ فى تلك الرياض فعن عذر
توسوست الأغصان عند هبوبه ... فما برئت إلاّ على رقية البدر
يخادعنى الورد الجنى فإننى ... بوجنة من أهواه قد حِرْتُ فى أمرى
ويبسمُ عن ثغر الأقاح بنفسج ... فألثمه شوقًا إلى لَعَس القطر

ولابن تميم :

والنهرُ مذ عَلقَ النسيمُ بقلبه ... أضحتْ تُطيلُ صدودَه وجَفَاه
فتراهُ يجري لاثمًا أقدامَهَا ... وخريرُهُ يشكو الذي يلقاه

ومن لطائفه :

ونهر خالفَ الأهواءَ حتى ... غدا طوعًا لها في كلِّ أمرِ
إذا رَفت على الأغصانِ ألقتْ ... إليه بها فيأخذهَا ويجري

---

(١) المنازى هو: أحمد بن يوسف بن السليكى المنازى، أبو نصر، وزير، كاتب، شاعر. من آثاره: ديوان شعر، توفى سنة (٤٣٧هـ)، انظر: شذرات الذهب (٣ / ٢٥٩) ، معجم المؤلفين (١ / ٣٢٩) .

ولابن لؤلؤ وفي نسخة للصلاح :

وحديقةٍ مطلولةٍ باكرتُها والشمس تشرق فوق أزهار الرُّبا
يتكسر الماء الزلال على الحصى فإذا جرى بين الرياض تشعبا

وله :

والنهرُ كالمبْردِ يجلو الصدّا ببردِهِ عن قلب ظمآنِهِ

ومن نكته البديعة :

ونهر إذا ما الشمسُ حَان غروبها عليهِ ولا حتْ في ملابسها الخضر
رأينا الذي أبقت به من شعاعها كأنا أرقنا فيه كأسًا من الخمر

ومن معانيه :

وحديقة ينسابُ فيها جَدْولٌ طَرِفي برونقِ حُسنه مدهوشُ
يبدو خيال غصونه في مائها فكأنما هو معصم منقوشُ

ومن ملحه :

يا حبذا النهر الذي أمواجه تسبى العقول بحسن ما تبديه
في الحب أبلق[1] غير أن عيوننا إذ لاحظته ترى الحدائق فيه

وقال محي الدين قرناص :

فديتك إن روضتنا تجدها تميل إلى لقائك كالصدور
يعانقك القضيب بها سرورًا ويخفق فرحةً قلبُ الغدير

ومن لطائفه :

ولما تبدى النهرُ عند عشيَّة والروضُ يخضع للصبا والشَّمالِ
عاينته مثل الحسام وظلُّهُ مثل الصدى والرشح مثل الصيقلِ

(١) أي ذا سواد وبياض.

وقال - رحمه الله - :

يا حسنه من جدول متدفق ... يلهي برونق حسنه من أبصرا

ما زلت أعوذه عيونًا حوله ... خوفًا عليه أن يصاب فيعثرا

فأبى وزاد تماديًا في جريه ... حتى هوى من شاهق فتكسرا

ولابن قرناص الحموي :

سرق النسيم حلى الغصون بلطفه ... لما أتاها وهي في أطرافها

ورمى بهانحو الغدير فضمَّها ... من خوفه في صدره وجَرَى بها

ومما قيل في النهر عند الأصيل :

النهرُ قد رقتْ غلالةُ صبغهِ ... وعليه من ذهب الأصيل طراز

تترقرق الأمواج فيه كأنما ... عُكَن الخصور تهزُّها الأعجازُ

ولبعضهم :

وروضةٍ قال لنا نهرها ... معاتبًا إذ رق للشاربِ

أكونُ في خدمتكم جاريًا ... ويضحكُ الزهرُ على شاربي

وما أحسن ما قاله بعضهم :

نديمي ماس الآس في سندسيهِ ... وأظهرَ ما أخفى لنا من حليَّه

ولاح بجيد الغصن والصبحُ طالعٌ ... من الطلّ عقدٌ لاح في جوهريه

وألقى الصخر في فضه النهر نثره ... فأثرى الثرى بالنشر من عسجديه

هو السيف إن يصدآه طلّ غصونه ... تولى شعاعُ الشمسِ صقلَ صديِهِ

ولابن النبيه[1] - عفى [الله] عنه - قوله :

---

(١) ابن النبيه هو: على بن محمد بن الحسن، المصرى، كمال الدين بن النبيه، أديب، شاعر مدح آل أيوب. من آثاره: ديوان شعر، توفى سنة (٦١٩هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء(١٦١/١٣) معجم المؤلفين (٥٠٠/٢).

والنهرُ خدٌّ بالشعاعِ مورَّد قد دبّ فيه عِذارُه للبانِ
والماءُ في سوقِ الغصونِ خلاخل من فضةٍ والزهرُ كالتيجان

ذكر بساتينها وما حولها : فيأتي ذكرها في الأزهار وهي كثيرة جداً .

قيل : تبلغ نحو خمسة عشر ألفاً .

وأما ذكر الأزهار فله فائدة ؛ فإنه لا يخلو من ذكرها فائدة من نحو : خاصة ، أو مضرة ، أو تعدد ألوان ، وخصوصاً تغزل الشعراء بها .

فصل

المدارس

ذكر المدارس[1] من المشاهير وما يلحقها من الخوانق ، ومن الإجمال والاختصار:

الدلامية بالصالحية، والماردانية، والعمرية، والضيائية، والعلمية، والناصرية، والباسطية، والركنية [و] المحاسنية، والقيمرية، والحافظية، والشبلية، والحسامية الأشرفية، والمرشدية النظامية، الخانقاه الحاجبية، الإبراهيمية المقدمية، القلانسية، الأرموية الغربية، الأرموية الشرقية، العيشية البدرائية، الأتابكية المعظمية، الخانقاه الفريسية، الخانقاه الأيدمرية الميطورية الجهاركسية، الصارمية الشيرازية، الخانقاه السيوفية، الأخميمية الزاهرية، الجمالية، البهائية، الخانقاه الجيلانية، اليغمورية، الصاحبية، العمادية، الأستدارية، البزورية الحنفية، المرشدية الحنفية، الرحبية، الأشرفية، الناصلية.

وبالربوة: المنبجية على قناطر أربع، درس بها العينى الصالحى، والجمال[2] بن طولون تلميذه، مفتى دار العدل، والآن لا أثر لها، ولعلها على بردى.

قال ابن طولون: وكان بابها من جدار السوق الكبير لا الصغير، فعليه كان السوق من عند التورى وبردى، وكانت القناطر على بردى من غير سك، وكان يطل على بردى السلعوسية، وهى عمارة بديعة بالبلاط الأبلق، وبركة ماء، وواجهة عظيمة من الحجر الملون مطلة على نهر بردى، ولعله المنبجية كانت على

---

(١) انظر هذه المدارس فى الدارس فى تاريخ المدارس (١ / ٨) وما بعدها.

(٢) فى المخطوط كمال وهو خطأ ينظر ابن العماد فى الشذرات (٨ / ٢٢٧) .

نهر بردى كالجامع المعلق، والنفيسية، القوصية، الكروسية، النورية، التنكزية، المصابنية، المعبدية، الأسدية، الأصفهانية، الإقبالية، الأمجدية، الأكزية، الأمينية، البدرائية، البهنسية، التقوية، الجاروخية، الحلبية، الخبيصية، الخليلية، الدماغية، الدولعية، الركنية الجوانية، الشامية الجوانية، الشامية البرانية، الشاهينية، الشريفية الصالحية، الصارمية، الطيبية، الظاهرية، الطبرية، الظاهرية الجوانية، العزيزية الجوانية، العذراوية، العادلية الكبرى، الظاهرية البرانية، الفارسية، الفخرية، الفلكية، القليجية، القوصية، القواسية، الفتحية، القيمرية، الكروسية، المجاهدية، الكلاسية، الناصرية الجوانية، المنكلانية، المجاهدية البرانية، الناصرية الجوانية، النجيبية، الأسدية، البدرية، الإقبالية، التاجية، الجلالية، الجقمقية، الجوهرية، الخاتونية البرانية، الخاتونية بمحلة حجر الذهب، الدماغية، الريحانية، الزنجارية، السيبائية.

من الخوانق : الصادرية لصيق الأموى، الطرخانية، الطومانية مقابل العصرونية، الفَرُّخشاهية، القجماسية، القصاعية، الخانقاه الأحمدية، المعينية، القيمازية، المنجكية، النورية الكبرى، النورية الصغرى، المالكية، البراهنية، الصمصامية، القلاصية، الجوزية، الجاموسية، الحفيلية، التنوخية، المسمارية، الصدرية، المنجائية، الدخوارية، اللبودية، الدنيسرية.

الخوانق : الأسدية، السميساطية الأسدية أيضًا، الليمانية، الكجكية، الإسكافية، الخانقاه الشبلية، العزية، الخانقاه الحسامية، الخاتونية، الزوزانية، العكراسية، الداودية، اليونسية، من الخوانق، الشنباشيَّة، الدهنية، الشومانية، الطواوسية، الخانقاه المكومانية، النجيبية، النحاسية، النجمية، النهرية، المدرسة الفلكية، المدرسة الطالونية، الحريرية، الأفريدونية النجمية، الحيدرية، الأكزية، السمرقندية، الأصفهانية، المؤيدية، والبيرمية، والزنجيلية، والتغراتية، والوطيئية الطيبية ـ بثلاث ياءات من تحت ـ وغير ذلك وأكثر، والله أعلم.

وأما الزوايا والمساجد فلم نذكرها لكثرتها.

فصـــل

جوامعهـــــا

ذكر مشاهير جوامعها : السليمية بالصالحية، الخاتونية، الجامع الجديد، المظفرى،، الماردانية، الحاجبية، العيشية، النيربية بها أيضًا، الحاجبية بها الجامع البردبكى، المنجكى الميدانى، المنجكى بالسبعة، الدرويشية، السنانية، المرادية، الصابونية، السباهية، الدقاق بمحلة القبيبات، السقيفة، المزاز، وجامع القرب، وجامع خليخان والآن خراب.

القعاطلة ليلبغا تنكرباى، جامع ابن الرفاعى البعدية عند خان الباشا الشامية الأشرفية ـ أعنى التوبة ـ جامع الجوزة عند العونية للسليمانية، جامع التوريزى الحيواطية، جامع البزورى، جامع المسلوت، جامع بنى أمية، جامع المبروم خراب، جامع صالح أغا، جامع حسان، جامع الشيخ مراد، جامع النطاعية، جامع الحشر، جامع الأغا بالمناخلية، الجامع النورى بالقلعة، جامع جراح بالتربة، جامع المصلى، كلها خطبت، والنحاسية، والأفرمية خرب، والعيشية، والنيرب، والريحان أعين المبروم، والنحاس بالصالحية، وجامع الركنية وبطلت من زمان، وبالشرف: جامع فى الأدنى والأعلى، والله أعلم.

ومن المتنزهات التى كانت سابقًا : محلة الشبلية، وبها دار السبط ابن الجوزى وغيره، وحدها إلى غيضة ابن المزلق، وفيه حمام، وحوانيت ولصيق الحمام حانوت مكفناتى[1].

---

(١) أى من يقوم بتكفين الميت .

قال الحافظ ابن عبد الهادى: وأدركت على باب الحمام حانوتا معدًا لبيع العدس المطبوخ يطلبونه من الشام، والطريق متصل إلى دمشق بالناس ، والعمائر، والحوانيت، وخرب ذلك فى زماننا وزمانه فى عهد الثمانمائة.

قال: وحارة مقرا، وهى محلة طاحون الشنان، وهى محلة عظيمة حتى أنَّ فيها بيوت الكبراء؛ مثل بيت شنتمر[1].

قال: وأدركت السبع قاعات، وهى عامرة، وكان عند الطاحون حمام، ومسجد، ومئذنة، وتسمى محلة الميطور.

قال ابن عبد الهادى : وكان بها دار الحافظة المحدثة كريمة، وتغزل بها الشعراء القدماء.

وأما السهم فتقدم ذكره.

ومحلة جامع النحاس شرقى الركنية.

ومحلة الركنية والآن خراب، وقريب منها محلة الزينبية والصاحبية، ويقال لها: الخميسات، وبهما سوق، ولكن الخراب أغلب.

وأما محلة قصر اللباد، وتقول العامة: قصر اللبان.

قال ابن عبد الهادى: « أدركت بها جماعة من جملتهم بنوطبيخ »، وقال فى كتابه: (وقف الشبلية): إن حدها ـ أى الشبلية ـ التربة والشرقى الجرن اسم بستان؛ لأنه نبت من غير زراعة، وآخرتها مقرا.

قال ابن عبد الهادى: « ومحلة مقرا أدركنا آثارها، ومنها السبع قاعات، ودور كبار عليها آثار النعم ». والله أعلم.

---

(١) فى الأصل: تستمر، وهو تحريف وقد سبق ذكره قبل ذلك.

وكان شرقى الطاحون دار جديدة، وفيها حمام، وهى متسعة، وكان باقيا بها بيت الذهبى، وبيت الصائغ، وبيت سديد وغير ذلك، وهذه كلها مسكونة استقضى الخراب جميعها عليها؛ فسبحانه وتعالى.

ومن **المنتزهات المباركة**: سفح قاسيون، وقد ورد آثار فيه كثيرة عن كعب وروى منبه قال: وفيه آثار قديمة، وأكثر العلماء كانت توصى بالدفن فيه، وقيل فى كتب السابقين: تسمى هذا المحل بالفراديس، وفيه من العلماء والأولياء والأنبياء ما لا يحصى.

وأما العلماء : فمن الأجلاء والأعلام ما لا يُعد مثل: ابن قدامة موفق الدين، وقبره ظاهر يزار، وأبى عمر بن قدامة، وكذلك كان ظاهرًا وخفى الآن، والشيخ ابن مالك، والسبط ابن الجوزى صاحب « مرآة الزمان »، والقاضى ابن خلكان، والإمام الشرفى الحجاوى صاحب « الإقناع » فى مذهب الحنابلة، والقاضى علاء الدين المرداوى صاحب « شرح المقنع »، والقاضى ابن مفلح صاحب « الفروع »، وابن ابنه صاحب « المبدع شارح المقنع » ، والعينى الحنفى الصالحى، والحافظ ابن الغازى، والقاضى ابن المنجا شرقى الداودية، وشيخ الإسلام الشويكى الكبير، والسيف الأحمدى، والفخر البخارى، وابن قندس الحنبلى، والصلاح ابن أبى عمر، والشمس بن عمر، والقاضى سليمان بن حمزة ، والقاضى ابن عبادة، والشيخ عبد القادر العسكرى، والشهاب العسكرى، والقاضى ابن الحبال، والحافظ ابن عبد الهادى جمال الدين يوسف المقدسى، وأكثرهم من الحفاظ والمحدثين.

ومن الأولياء: سلطان العارفين ابن عربى، والحريرى الصوفى، والشيخ العمرى بالجسر صاحب الديوان المشهور، والشيخ العرودك صاحب الديوان المشهور، والشيخ الإمام صاحب الأحوال أبو بكر بن قوام.

وأما ما فيه من أماكن الإجابة: المقام الذى يقال له: مغارة الدم[1]، والشيخ الأمير قيمر صاحب المدرسة بدمشق، والمارستان بالصالحية، ومقام أهل الكهف، ومقام الجوعية، وقبرابن قوام، وقبر الشيخ ركن الدين، ومقابله للشباك قبر الحافظ ابن التين، وقريب من قبر الفارقى الشافعي.

وأما الزوايا :[2] فإنها فيه لا تحصى، والأزبكية خراب ماعدا زاوية الشيخ العرودك أبو بكر ـ قدّس الله سره ـ فهو فى كل ليلة يصير فيها ذكر، وكان قبلها زاوية الداودى الولى المحدث صاحب الأوراد، وولده شمالي الزاوية.

وقيل: إن الدعاء عند قبره مستجاب[3]، وولده المحدث شارح الأوراد فى تربته المشهورة داخل الشباك الحديد، وبطل الذكر منها لخراب تلك المحلة فى عصر الخمسين بعد الألف.

وفيه من العلماء: شيخ النحاة ابن طولون عند الزاوية العجمية، وهى من الزوايا المشهورة، والآن ليس إلا الجدار، وقريب منها الخوازمية للشيخ الولى الخوازمى، والإيجية كانت للشيخ محمد الإيجى، وكلها يقام فيها الأذكار والأوراد، وبطل ذلك، وسابقًا الصوابية، كانت زاوية، بها الشيخ محمد الصوابى وذكرها فى الدارس.

ومن العلماء: الشهاب بن الخضر الفقيه المحدث، والد ابن تيمية المحدث، والحافظ ابن المحب شارح البخارى، والعارف المحدث الحافظ عبد الرحمن بن داود الحنبلى وغير ذلك من الأعلام مما لا يحصى.

---

(١) هذا الكلام ليس صحيحاً ، ولا دليل عليه إلا أوهام الجهال ، وخرافات المتصوفة .

(٢) يلاحظ أن المصنف قدَّم الزوايا على المساجد وهذا لا يجوز ويجب التنبه له .

(٣) لا شك بأن ذلك من الأمور البدعية التي تتنافى مع العقيدة الإسلامية الصحيحة .

وأما جوامع الخطبة بها الآن: فالجامع المظفر، والمحمدية، والسليمية، والخاتونية ، والماردانية بالجسر الأبيض.

محلات الشام:

وأما محلات الشام العامرة: تقدم [ذكر] الصالحية التى من زمن أبى عمر المقدسى، ومحلة الجسر الأبيض، وقبلى دمشق الميدان، وهو كثير الزحام بالناس عامر جدًا، وأما محلة برج الروس إلى عند العونية فصار غالبه خرابًا، ومحلة الربوة، وأسواقها كلها غاصة بالناس.

وأما الصوائح[1] بدمشق: فأعظمها السنانية، ثم باب البريد، ثم المناخلية، ثم العمارة، ثم الشاغور، وغير ذلك لا يُعد؛ لأنه لا يبلغ فى الكثرة ذلك، ومئذنة الشحم، لكن ليست مثلها، وقد تغزل فيه الشعراء قديمًا وحديثًا.

وما أحسن قول الأديب إبراهيم بن محمد السفرجلانى[2] الشافعى:

يا صاحبي أنخِ المطـ	ـيّ بقاسيون سقاه وادقْ
وتضاحكتْ في نيربيه	ثغور أزهارِ الحدائق
ولقدْ كرعنَا فيهما	في مورد العشاق رائق
ونزلت روضًا أينعتْ	ثمراته بالحسن فائق
وشممت من عرف الخزا	مى ما يطيب لكل ناشق
ونعمتُ فيه بعارضِ الر	يحانِ في خيمِ الشقائقْ

وله - عُفِى عنه - قوله:

نظرَ البنفسجُ في الشقيقِ مؤثراً	فارتاعَ حتّى انهلَّ ماءُ جمالِهِ
فغدا يرصع درَّه ياقوتَّه	ويزيحُ أنجم بدره بهلالِهِ

---

(١) وهي كلمة تعني الأماكن العالية التي ينادى فيها بأعلى الصوت .

(٢) انظر ترجمته فى نفحة الريحانة (١ / ٤٧٩) ٤٦ ، سلك الدرر (١٥٨) .

ومما يتعلق بالسفح مجاريا قولي :

سقى الفسح من قاسون وادق ... وكساهُ تيجان الشقائق

وكساهُ حلَّة سندسٍ ... قَدْ حلَّها بَرَد ووادق

فلكم رشفنا فيه صفو المـ ... ـزن في كأسِ العقائق

ولكمْ علونا فيهِ من ... نشزٍ ترى به طرف المشارق

لم ألق بهجته ولا ... ألقى كموطنه الشواهق

لا زال ريان الربُّا ... وعليه دوم الدّهر بارق

وله أيضا :

أفنى فؤادي الغرام والكمد ... وعِيلَ صبري وخانني الجَلَدُ

وبتُّ أرعى النجومَ مرتقبًا ... حتى كأنَّى لهنَّ مرتَصِدُ

من أجل بدر أقلَّهُ غصن ... يحلو به فوقَ غُصنهِ المَيدُ

يكادُ من شدةِ اللطافة إن ... ضم منه النطاق ينعقدُ

شويدن لومشى على كبدي ... ما أحسن بمشيه الكبدُ

ومن محاسن الصالحية: قبة النصر على رأس الجبل، وهو مكان نزيه مطل جدًا لا أعلى منه، وهى قبة لها ثلاثة أبواب، وشباكان بينهما محراب مكتوب عليه (الله حسبنا)، أنشأها الملك الناصر ـ رحمه الله ـ ، يُرى منها جميع الشام ونواحيها، والأنهار كخيوط الفضة، وهى فوق مغائر شداد، والناس يخرجون إليها للنزهة، ويتعجبون من زيادة العلو والإشراف، ولها ثلاثة طرق يصعد إليها منها. وقد ذكر القاضى **حسين بن العدوى الشافعى**(١) **قصيدة رقيقة لطيفة وهى قوله:**

---

(١) هو القاضى حسين بن محمود العدوى الصالحى توفى سنة سبع وتسعين وألف. ينظر نفحة الريحانة (٥٨١) . خلاصة الأثر (٢ / ١١٦ ـ ١١٨) .

وليلٍ أدرنا فضلَ قاسونَ بيننا فكادتْ قلوبُ السامعينَ تطيرُ
فلم نذرِ إلا الفجر صارَ دليلَنا إلى سفحه والسفح فيه نفيرُ
وفينا هداة للطريق وقادة لهم كلٌّ فضلٍ فى الورى وصدورُ
فسرنا فلا والله لم ندرِ ما الذى قطعناهُ بعد المشى كيف يصيرُ
ومنه ركبنا الجو حتى كأننا نجوم سماء والسَّحاب ثبيرُ
فلما وصلنا المستغاث أغاثنا به الغيث حتى غوثنَا لمطيرُ
فزرنا وكل نال ما كان ناويًا وفزنا بوقت حسنُه لاشهيرُ
إلى أن هبطنا قبةَ الفلك الذى تسمَّى بنصرٍ مُذْ أعان نصيرُ
رأينا بها عقد الثريا معلقًا وعين الدرارى النيرات تُشيرُ
فلم نر برجًا قبلها حل منزلاً يسير إليه الناس وهو يسيرُ
فأعجب شيءٍ أن تراها مقيمة وتمشى كما يمشى الفتى وتغورُ
وأعجب من هذا تراها عقية تربى بنات النعش وهى سرير
وعدنا فحيانا حيًا فضل سحبها بريحٍ لها وقع الغمام صريرُ
إلى أن رمتنا بعد عالى مكاننا إلى مغرّ فيها المقامُ غرورُ
وجئنا حمانا مطمئنين أنفسًا على أن مرقى المكرماتِ عسيرُ

وهى من المحاسن. ومن **محاسن [دمشق] بيت لهيا:**

قال ابن المزلق[1]: ومن محاسن دمشق بيت لهيا، والعنابة، وهو مكان مبارك يقال: حواء أقامت فيه.

---

(١) انظر: مخطوطة (نزهة الأنام فى محاسن الشام) لابن المزلق (ل ٨٦) .

نقل المؤرخون أن حواء مكثت فى بيت لهيا، وآدم فى بيت الأبيات، وهابيل فى سطرا، وقابيل فى قينيه، وكان هابيل صاحب غنم، وقابيل صاحب زرع، وقصتهما مشهورة ذكرها الله ـ تعالى ـ فى القرآن(١).

وأما العنابة: فهى كما قال ابن المزلق(٢): محلة عظيمة مشهورة، ويأتى ما ذكر من مدح العناب فى ذكر أشجار دمشق فى آخر الكتاب.

ومن محاسن الشام: سطرا.

وفيه يقول ابن خطيب داريّا ـ رحمه الله تعالى ـ:

خليلىَّ إن وافيتما الشام بكرة ... وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا

قفا واقرأا عنِّى كتابًا كتبته ... بدمعى لكم مقرى ولا تنسيا سطرا

وما أحسن ما قاله القاضى ابن عنين(٣):

ألاليت شعرى هل أبيتن ليلة ... وظلك يا شقرا علىَّ ظليلُ

دمشق فلى شوق إليها مبرِّح ... وإن لجّ واشٍ أو ألحّ عذول

تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق ... وصَحَّ نسيمُ الروضِ وهو عليلُ

بلاد بها الحصباء درٌّ وتربها ... عبير وأنفاسُ الشمال شمولُ

والحاصل: كلها تغزل فيها الشعراء قديمًا وحديثًا.

---

(١) ﴿ لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة ٢٨ ـ ٣٠].

(٢) انظر: (مخطوطة الأنام فى محاسن الشام)(ل ٨٦).

(٣) انظر: مخطوطة (نزهة الأنام فى محاسن الشام) (ل ٨٨).

قال ابن المزلق[1]: ومنها منتزه الليلكى يجتمع الناس فيه أيام السفرجل، وهو مزهر ويسيبون الماء تحته، ويوقدون فى ظلمة الشهر قشور البيض كالسرج، ويعلقون قشور النارنج فى الأشجار مشعولة، ويفرقون الخام فى البستان الحاجب، ويقطعون أوقاتًا من اللذة . قال **الشيخ علاء الدين بن الشرف الماردينى:**

انظرْ إلى يلكٍ أزهتْ أزاهرُهُ ... فرؤيتُهُ بالزهورِ قد تعيَّنتْ
أشرقتْ الأرضُ بنورِ ربِّهــا ... وأخذت زخرفها وازَّينتْ

قال ابن المزلق[2]: **وأنشدنى بدر الدين:**

للهِ من يَلَكٍ بديــع حسنُــه ... قد ضمّ شَمْلى بالذى أهواه
مازال يفرشُ لى بساطًا أخضرًا ... فرعى الإله رياضَه وكَلاه

وفيه يقول ابن قرناص[3]:

ويلكُ بـدرهُ فيــه منــارةٌ ... يطيبُ بها الندامى والمدامُ
ويا نــــورَ المتيم إذ تغنــتْ ... حمائمُهُ ويسقيكَ الغَمَـامُ

ومن قوله فيه[4]:

قد أتينا نبغــى زيــارة يَلكٍ ... فحيَّالنا بالجودِ والإكــرامِ
ناولتنا أيدى الغصونِ ثمــارًا ... قد أخرجتها لنا من الأكمام

ومن المحاسن: **غيضة السلطان** : وتسمى غيضة حمد، وقفها على الجامع، وهو مغض من قديم الأزمان، مشتبكة، وفى أطرافها مروج يجلس عندها، ولا

(١) انظر : مخطوطة (نزهة الأنام فى محاسن الشام) (ل ٨٨) .

(٢) انظر : المصدر السابق .

(٣) انظر : المصدر السابق .

(٤) انظر : المصدر السابق .

يدخل لداخلها إنسان من كثرة المهالك الحيوانية، ويخرجون إليها للنزهة وصيد السمك.

ومن محاسن الشام: الغوطة: وهى كما قال القزوينى[١]: كورة قصبتها دمشق، وهى كثيرة المياه خضرة الأشجار، ومتجاوبة الأطيار، مونقة الأزهار، ملتفة الأغصان، مخضرة الجنان، استدارتها ثمانية عشر ميلاً، كلها بساتين وقصور، يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها، ومياهها خارجة من تلك الجبال، ويمتد فى الغوطة عدة أنهار، وينصب فاضلها فى أجمة هناك.

والغوطة كلها أنهار وأشجار متصلة، قل ما يوجد بها مزارع، وهى أنزه بلاد الله وأحسنها.

قال أبو بكر الخوارزمىّ: وهى أنزه أماكن الدُّنيا.

وقال القزوينى: أخذت الجهات الثلاث التى هى صغد سمرقند، والأبلة، وغوطة دمشق، ودرتها كلها؛ فرأيت الغوطة أحسن منهما بكثير.

قال فى آثار العباد[٢]: **ومن محاسن الشام**: **خزين الثلج**: بقرية: من قرى الشام، يقال لها: منين، يخزنونه من العام إلى العام، ويحمل منه للقاهرة، وماؤه يسكن وجع الأسنان، ولابن عباد قوله فيه:

احْملِ الثلجَ فانبسط للسرور وبشربِ الصغيرِ بعدَ الكبيرِ
فكارب المـاء صاهـرت الأرض وصار النثار من كافور

وأخذه أحمد بن على العلوى[٣] **فقال:**

---

(١) انظر: مخطوطة (آثار العباد وأخبار البلاد) للقزوينى (من لوحة ٩٧ : ١٠٣) .

(٢) انظر: المصدر السابق. وانظر أيضاً مخطوطة (نزهة الأنام فى محاسن الشام) لابن المزلق(ل ١١٦) .

(٣) انظر: مخطوطة (آثار العباد وأخبار البلاد) للقزوينى(ل ١٠٩) .

هواك من الدُّنيا مضرك والذى ... إليك لمشتاق كجفن إلى الغَمض

فزرنى وبادر يوم ثلجٍ كأنـــه ... نمائم كافـــور نُثرن على الأرْضِ

ومن محاسن أبى الفتح[1]:

قد نظمنا السرورَ فى عِقْدِ أُنسٍ ... وجعلنا الزمانَ للحب سلكـا

وشربنا مدامــــةً وجعلنــــا ... للفتى فيه رشــدًا ونسكًـــا

فكأن السمـــاء تنثر كافـــو ... رًا علينا ونحن نفتُتُ مِسْكًـــا

أخذه ظافر الحداد:

ويــومٍ ضاحــكٍ يبكـــى ... ضعـــيفُ معاقِـــــد المُلْكِ

كـأن الريح تنثــــــــره ... علــى الأرض وفـــى وشْـك

وينبت فى الثلج الريباس[2] يسكن الحرارة، ويقوى المعدة، ولا ينبت إلا فى الثلج، وهو نافع من الإسهال، وهو فى جبال الثلج (أمير باريس)، والثلج محمود للهضم لكن يهيج السعال، ومضر للمعدة، ومع ضرره يشرب قليلًا قليلًا يصلح للأمزجة الحارة، وهو يطلق البطن ثم يعقله[3].

ومن محاسن دمشق: المرج[4]: وأوله الوادى التحتانى، وآخره البحرة، ويقال: إنه يشتمل على ثلاثمائة قرية وستين قرية، تزرع فيه الحبوب والغالب الشعير، وفيه يقول ظافر الحداد:

كأنْ فى سنابل حب الحصيد[5] ... وقد شارفت من إبّانهــا

كنابيش مظفـــورة ربعت ... وأرخى أفاضل خيطانهـا

(١) انظر: (نزهة الأنام فى محاسن الشام)(ل ١١٦) .

(٢) نبات لا يكون إلا على الصخر.

(٣) انظر : مخطوطة (نزهة الأنام فى محاسن الشام) (ل ١١٦) .

(٤) انظر: (نزهة الأنام فى محاسن الشام) (ل ١١٨) .

(٥) فى المخطوط الحديد والتصويب من النزهة.

ومن محاسن السلامى قوله:

يا حبـــــذا سنبلـــــــة	تبـدو لعينـى المبصـــره
كأنهـــــا لـــؤلـــــــؤة	مظفــــورة مـــن عنبره

والبحرة: يصب إليها مياه دمشق كلها، وبها مراكب صغار، والسمك والطيور فيها كثيرة، ويقصدونها لصيد السمك، وهى عميقة جدا، ولايعلم قرارها إلاّ اللّه. كذا ذكر ابن المزلق.

ومن محاسن دمشق: الجامع الشريف الأموى: ولا يوجد فى أقطار الأرض مثله.

قال فى الدارس[1]: وهو أول جامع صليت فيه الجمعة فى دمشق، وفيه مدفن رأس سيدى يحيى، ونبى الله، شيث عليهما السلام.

قيل: إن الصلاة تتضاعف فيه بثلاثين صلاة، وهو منقول عن العينى - رحمه الله تعالى - .

وعن يزيدِ بن ميسرة قال: أربعة أجبل مقدمات بين يدى الله تعالى: جبل طور سيناء، وجبل طور زيتا، وجبل طورتيما، وجبل طورتينا.

فطور سيناء: الذى كلم الله عليه موسى - عليه السلام -.

وطورتيما: مكة المشرفة.

وطور زيتا: بيت المقدس.

وطورتينا: مسجد دمشق.

---

(١) انظر: الدارس فى تاريخ المدارس (٢ / ٢٨٥) .

وعن قتادة ـ رضى الله عنه ـ قال: « أقسم الله ـ تعالى ـ بمساجد أربعة؛ فالتينُ: مسجد دمشق، والزيتونُ: مسجد بيت المقدس، وطور سينين: طور موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذى كلمه الله عليه، وهذا البلد الأمين: مكة شرفها الله ـ تعالى ـ [(1)].

وذكر جماعة من الأمويين أنهم أدركوا فى مسجد دمشق تينًا[(2)].

قيل[(3)]: وكانت فى المواضع التى فى الصحن بالبلاط الكبار المدورة كالرحا، وهو من بناء الملك الجليل الكبير الوليد بن عبد الملك بن مروان، ودولته كانت عشرة أعوام، وكان مهابًا شجاعًا، وكان الجامع نصفه كنيسة، ونصفه الآخر جامعًا، والذى فيه محراب الصحابة كان الجامع، فأرضى الوليد النصارى بعدة كنائس فرضوا، ثم هدمه وحيطانه الأربعة، وأنشأ فيه القبة والقناطر، وحلاّه بالذهب وجعل سلاسله منه، والأستار من الحرير، وبقى العمل فيه سبع سنين، وكان يعمل فيه اثنا عشر مرخمًا، وغرم عليه من الدنانير المصرية مائة قنطار وأربعة وأربعين قنطارًا بالدمشقى، حتى صيره نزهة الدنيا، وأمر نائبه على المدينة المنورة ببناء مسجد النبى ﷺ ، وتوسعته وزخرفته، وهو ابن عم عمر بن عبد العزيز.

وقيل: أول من عمر جدر الجامع الأربعة: نبى الله هود ـ عليه السلام ـ .

وعن عمر بن الدرفس[(4)] فى تفسير ﴿والتين﴾ [التين: ١] [أنه مسجد دمشق[(5)]: كان له حديقة فيها تين لهود معدودة لمن يمر، وكان فيه أبنية وخبايا

---

(١) انظر: شذرات الذهب(١ / ١٥٣) .

(٢) انظر: الدارس فى تاريخ المدارس (٢ / ٢٨٥) مع اختلاف فى الألفاظ.

(٣) انظر: الدارس فى تاريخ المدارس(٢ / ٢٨٥ ، ٢٨٦) .

(٤) عمر بن الدرفس الغسانى أبو حفص الدمشقى. ينظر الخلاصة(٢٦٩/٢) (٥١٥٣) .

(٥) قال ابن كثير فى تفسيره سورة التين: اختلف المفسرون هاهنا على أقوال كثيرة، فقيل: المراد بالتين مسجد دمشق. انظر: تفسير ابن كثير (٢٦٥/٤).

للنصارى، فهدمه المسلمون حين العمارة، حتى صار مرجة، وفيه أبنية ومذابح، ثم شرع في بنائه بفكرة جيدة، وجعل جدرانه كلها منقوشة بصفة سائر البلدان، صورها في الجدران، ورتب شموعًا، واصطنع مجامر للبخور على أعمدة، ووكّل خدمة لذلك، وسبك سرجًا من نحاس، كل سراج يوضع فيه قنطار من الزيت.

وفى محراب الصحابة وضع حجرًا من البلور، وقيل: درة يقوم نورها مكان المصباح، وأخذها الأمين بن الرشيد لما طلبها، فسيرت إليه لبغداد.

وقال ابن عساكر: لما رآها ردها، ثم فقدت، وجعل مكانها برنية من زجاج.

قال: وقد رأيتها ثم انكسرت بعد مدة، وبنى الوليد المنارة المسماة بالعروس.

قلت: **وما أحسن ما قال القاضى الحسينى بن العدوى الصالحى:**

قاسُوا حَماةَ بجلقٍ فأجبتهم ... هذا قياس باطل وحياتِكم

فعروسُ جامع جلق ما مثلها ... شتان بين عروسنا وحماتِكم

وجعل عدة من المصابيح توقد كل ليلة، ورتب ثلاثة نوبات كل نوبة أربعون وهى إلى الآن، والقبتان من بناء اليونان للناقوس والرصد.

وقيل: إن الشرقية احترقت في سنة سبعمائة وأربعين، فنقضت وجددت من أموال النصارى؛ لكونهم اتهموا بحريقها، وأقر بعضهم بذلك.

ويقال: **في الركنين الشماليين**: صومعتان كالمقابلة فيها خلوتان من فوق الأعمدة، موضوع فيها كتب الأوقاف، ومقفل عليها بالحديد، وفيه طلسمات للحيات والحشرات والعقرب والخنافس والعناكب والدبان والعصافير والوطواط.

قال ابن عساكر: وقد ذهب من تلك الأرصاد، انتهى.

أقول: ولعل بعضها باق؛ لأن أشياء من ذلك توجد إلى الآن، ولى في تعليق هذه المشارب الكبار المدهونة المزخرفة، ولعلها كانت أكثر لكن ذهب الأكثر، لتوالى محن دمشق.

إنها موضوع فيها شيء من الرصد[1]، وجعلت فى هذا الموضع حتى لا تنال بالأيدى ووقع له حريق من فتنة[2] بين الدولة فى سنة الأربعمائة ليلة النصف [من شعبان]، ضربوا بارودًا على دار هناك مجاورة له، وأتى الحريق على سائره ودرست محاسنه، نقله فى الدارس.

وفتنة التيمورلنك، فإنه غُيِّرَتْ محاسنه وجعله مربطًا لخيول بعض دولته، وله سبعة أبواب كبار وبابان صغيران؛ أبواب البريد، وأبواب جيرون، وباب الساعات فى حرمة قبلية، وسمى باب الساعات؛ لأنه كان عمل فيه مكانًا تُعلم منه أوقات النهار.

وهى شيء عليه عصافير وحية من نحاس وغراب، فإذا تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصافير، وصاح الغراب وسقطت فى كل مخصوص حصاة، وهو من عمل الرئيس أبى الفضل الحارثى الدمشقى[3] المهندس، وكان ماهرًا فى العلوم الرياضية، وبرع فى علم الفلك، والحساب، والتقسيمات، والهندسة، وعلم الهيئة، ونقش الرخام، وضرب الخيط، واشتغل بالطب حتى مهر، سمع السِّلفى، وأخذ عنه الحديث، ووضع كتابًا فى الحروب والسياسات والأدوية المفردة، ومقالة فى رؤية الهلال، واختصر الأغانى، توفى فى الخماسية[4]، وذكره ابن أبى أصيبعة فى تاريخ الأطباء، قال: وكان مرضه بالإسهال كأفلاطون، ومات بدمشق، من الرؤساء بدمشق فى العلوم الرياضية، وسكن دمشق؛ لتحديد الساعات، وضبط الأوقات، وإدارة ساعة العنبرانية[5]، وتحديد ما يفسد منها عند الخلل.

---

(١) أى الرقيب.

(٢) انظر هذه الفتنة خطط الشام (٢٢٨/١).

(٣) هو أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثى. ترجمته فى عيون الأطباء(٣١٢/٢).

(٤) أى فى القرن الخامس.

(٥) أى باب العنبرانية وهو باب من أبواب مسجد بنى أمية من جهة الجنوب.

رضوان الخراسانى مولده بدمشق، وأبوه من خراسان.

ومحمد القيسرانى[1]، ومولده بعكا، وله ديوان شعر، وهو فى عصر الأربعمائة، وسكن بحلب، ثم رجع للشام، ومات فى الخماسية، وكان أمة فى الحساب والنجوم والهندسة والهيئة، وعلم المساحة، والميقات، والفلك.

والإمام المتقن البارع أبو الحسن علاء الدين على بن الشاطر[2] المشهور، وهو من الأوس ينسب إلى ثابت الأنصارى الأوسى، صاحب الأسطرلاب، والبسيط، الإمام المشهور، وكان له نظر على التوقيت بالجامع، وألف الزيج[3]والكرة، وله الرسالة عليها، وعلم الخيط فى المزاول وتركيبها.

وأما الأسطرلاب: فهو قنطرة مقدار ثلث ذراع تدور أبدًا على حركات الفلك على أوضاع مخصوصة؛ ليعلم منها الساعات المستوية والزمانية والمنحرفتان فى قبلة مئذنة العروس من وضعه، والبسيط من وضعه فى الدور الفوقانى من مئذنة العروس يُعلم منه أوقات الرمال، وهذا مما لم يسبق إليه كالمزولة، ولكن المزولة لا تكفى فى ذلك، فجعل البسيط وهو إلى الآن، وكانت دائرة داخل الفراديس، ومولده فى عصر السبعمائة، انتهى.

قلت: ومن المتأخرين الماهرين محمد الصالحى الهلالى[4]، كان من البارعين فى علم الفلك وغيره، وله شعر جيد، وله زيج أكبر من زيج ابن الشاطر، ولكن زيج ابن الشاطر أشهر، وحضرت فى قراءة زيجه بقراءة الفاضل الشيخ محمد

---

(١) ينظر ترجمته في السير (٢٠/٢٢٤) ومعجم الأدباء (١٩/٦٤-٨١).

(٢) ينظر كشف الظنون (١٩٦٩) والدرر الكامنة (٣/٧٧)، الدارس (٢/٢٩٨).

(٣) وهو من فروع الهيئة. ينظر بالتفصيل فى: أبجد العلوم(٢/٥١).

(٤) محمد بن نجم الدين بن محمد الصالحى الهلالى شاعر من أهل دمشق توفى سنة ١٠١٢هـ الأعلام (٧/١٢٣).

الحبـال على الشيخ خليل شيخنا المـوصلى، وقراءة رسالة الكرة له بقراءة صاحبنا الفـاضل مولانا الـشيخ إبراهيم الأكـرمى مع رفـيقـه الشيـخ القـاضى عبـد الوهاب الصالحـانى، وأيضًا عليه قرأت بـالربع المجيب والمقنطر على محـقق هذا الفن البارع يحيى جلبى العينى الشافعى، وقرأت رسالة الدرجة عليه بتمامها، ولله الحمد.

وكان مولانا بهى الدين الشـيخ عبد الحى الصالحى إمام السليميـة فى زماننا، لم يكن أمهـر منه فى مثل ذلك، وكان أُمَّةً فى الحـساب والفقه والنحـو والحديث، وكان عليـه مشارفـة توقيت جامع الـسليميـة فى الصالحيـة مع الإمامة، وكـان يقرأ الحـديث البخـارى فى الأشهـر الثـلاثة، وتوفى بمكة سنة[1]، وألَّف تاريخـا سَمَّـاهُ (شذرات الـذهب فى حال مَنْ ذهـب)، وله رسـالة بديعة فى تفـسيـر آية: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الاخلاص: ١] استنبط فيها ذكر سائر الفرق المخالفة واعتقاداتها، أخذ بالشام عن المحدث ابن بلبان[2] وغيره، وبمصر عن أعلامها.

وقال فى الدارس: بالجامع طلسمات لسائر الحشرات، معلقة بالجامع.

قلت: وهـى إلى الآن، وإلى الأزل[3] لا يوجد فيه العـصفور والزاغ ولا البق ولا البعوض، وفيه الفوارة أُقيمت فى الثلاثمائة.

وقال الأمير جعفر الملقب بقمر الدولة الكنانى يصفها وأجاد:

رأيت بالجامع المزبـور معجـــزةً   فى جلق قد كنت أحدَ من لها سمعَا

فوارةٌ كلما فارت فرحت بهـــا   وماؤهـــا فـاض بالأنفـــاس فاندفعَا

كأنها الكعبةُ العظمى فكـلٌّ فتًى   مـن حيث قابـل أبوابًـا لهـــا ركعَا

---

(١) لم يذكر سنة وفاة ابن العماد وتوفى سنة ١٠٨٩ .

(٢) محمد بن بدر الدين الشافعى ت(١٠٨٣هـ). تنظر ترجمته فى معجم المؤلفين (٩/١٠٠).

(٣) هذا أمل من المصنف ورجمٌ بالغيب والله تعالى أعلم بذلك . والمقصود بالطلاسم الرسوم والصور.

وفوارة جيرون: ففى عصر الأربعمائة خربت ليلة الجمعة لسبع خلون من ربيع الأول سنة أربعمائة، وماؤها من قصر حجاج، قاله فى الدارس.

قلت: وفى سنة إحدى عشرة ومائة وألف جدد إنشاءها مفخر الكبراء بدمشق عبد المعطى جلبى الفلاقنسى[1]، فحمامها عظيم وعمر على حساب مال الجامع من ماله حتى يبقى له وذلك زمن توليته، وكان قبله أطباق لصيقة الذهبية، وكان هناك سويقة خرابًا تعد لبيع الثمين من العقيق مما يليق بالنساء، فلما خربت الذهبية فى سنة سبع ومائة وألف نودى على الطواقى التى كانت تلبسها النساء، وجدد موضع ذلك الحمام فى التاريخ السابق من ماله، وتحاسب به من مال الوقف، وجدد السوق خارج باب الفراديس، وكان دربه حوانيت الجامع المزبور، وقد أحسن فى ذلك - رحمه الله - وتوفى السيد عبد المعطى جلبى المذكور سنة اثنين وعشرين ومائة وألف.

وأما المصاحف: فأكبرها بخط العلامة الححينى الحنبلى للكافل بدمشق سودون، وكان على كرسى مقابل باب المقصورة الشمالى، ورتب قارئًا وخادمًا بمعلوم، ويليه للمؤيد مثله مقابله على باب المقصورة.

وأما السلاسل على باب الجامع فمن وضع السلطان العادل حتى لا تقحمه الخيول.

وفيه يقول القاضى ابن عنين الصالحى من قصيدة:

والمدينة هربت   قيدوها بالحديد

وإنَّ الجامع بلط بعد دثور بلاطه السابق المدهش؛ لأنه كان كله مفصصًا منقوشًا بأنواع عجيبة فى الستمائة، وفيها نصب محراب الحنابلة بالرواق الثالث

---

(١) وترجمته فى: سلك الدرر(٣/١٣٥).

من الحرم، وصلى فيه شيخ الإسلام موفق الدين ابن قدامة، وتبعه الزكى المعظمى، ثم رفع فى السبعمائة، وعوضه بالغربى عند باب الزيادة كما عوضوا الحنفية عن محرابهم الذى كان فى الجانب الغربى بمحراب باب الزيادة بين محراب الحنابلة، والمقصورة حين جدد الحائط القبلى.

قال فى الدارس[1]: وكانت المحاريب ماعدا الراتب كلها فى الرواقات بالمعازب، وفى الثمانمائة رسم أن يصلوا الحنابلة قبل الإمام الكبير؛ لأنه كان يحصل تشويش فى الصلاة، وتغيرت هذه القاعدة فى التسعمائة.

قلت: والترتيب الآن يصلى الظهر والعصر الشافعى أولًا، ثم الحنفى، ثم المالكى فى المقصورة، ثم الحنبلى فى المحراب فى المعزية القبلية التى تلى الباب القبلى - أى: باب العنبرانية - والمغرب والعشاء لايصلى إلا الراتب، والمالكى فى المقصورة، ويصلى الناس بأئمة حسبية، والمغرب والعشاء وفى الصبح؛ فأول ما يصلى الصبح اليمانية بغلس، ثم الشافعى، ثم المالكى، ثم الحنفى، ثم الحنبلى؛ فالمالكى له أربع، والحنبلى ثلاث، والشافعى كذلك، والحنفى الخمسة؛ فيصلى المالكى أربعًا، والحنفى الخمسة، والشافعى، والحنبلى ثلاث صلوات، والله أعلم.

ولعلها منسوبة لمن كان باليمانية، وهو الرواق المشهور، لا أنهم حنفية الآن بل شافعية، والغلس عند الشافعى - رضى الله عنه - أفضل، وفيه المشاهد لكل واحد إمام، المشهد الكمالى لمولانا القاضى كمال الدين الشهرزورى، ويجلس فيه الحكام بعد صلاة الجمعة، ومشهد المؤذنين، ويسمى مشهد عثمان، وبعده مشهد النائب، وهو مشهد علىّ، وفى كل منهما بركة ماء جارٍ، ومشهد عروة وهو الشرقى، ومشهد زين العابدين، ومشهد الطواشية خدام الجامع كطواشية حرم

---

(١) انظر: الدارس فى تاريخ المدارس (٢/٣٠٢).

النبى فى المدينة ﷺ ومشهد باب الزيادة، وهو خراب، ولعله المسمى مشهد المحيا، ومشهد الجرن، ويقال له: مشهد أبى بكر، وفُتِحَ فى الثمانية، ومشهد عثمان جدد فى السبعين والثمانية، والآخر فى القرن والثمانية.

قال فى الدارس[1]: وفى الخمسمائة نقل من طبرية مصحف عثمان بن عفان - رضى الله عنه - إلى دمشق، ذكره الذهبى فى تاريخ الشام، قال: وأما بيع الكتب فلم يكن فى الكلاسة بل بالبريد، ثم نقل إلى باب مئذنة العروس، ثم إلى داخل الكلاسة.

قلت: وفى زمن ناصف باشا وزير دمشق نقل مصحفًا عثمانيًا كان فى بصرى مسجد عتيق، وذلك لما كان تواجر حوران، فأمر بحمله إلى مسجد دمشق فحمل وجيء به للمقصورة[2]، ورتب له خادمًا وهو إلى الآن، وذلك سنة ثلاث وعشرين وألف، وما أحسن ما فعل، واحترقت المئذنة الغربية فى الثمانمائة من حربٍ حصلت، ثم جددت وفيها عمل درابزين[3] لمئذنة العروس، ولما وقعت فتنة تيمورلنك عطلت وقوف الجامع، فطلبوا الأجرة، وصار فتنة فشكوا وقوف الحال.

---

(١) انظر: الدارس فى تاريخ المدارس(٢/٢٠٧).

(٢) المقصورة هى: حاجز خشبى يكون بأعمدة، وقضبان خشبية مخروطة بصناعة لطيفة تسمى فى عصرنا بـ (الشعرية) توضع فى المسجد حول المنبر والمحراب، يصلى فيها السلطان، وجماعته خوف اغتياله وهو فى الصلاة، وأول ما وضعت فى المسجد فى خلافة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - بعد أن اغتيل عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وهو فى الصلاة وخلف المحراب، وقد بطل استعمالها فى عصرنا الحاضر ورفعت من المساجد منذ شاع استعمال الرصاص. انظر: معجم الألفاظ التاريخية ص(١٤٣).

(٣) الدرابزين، أوالدرابزون: كلمة فارسية بفتح الدال وسكون الراء وفتح الباء والأصل يونانى بمعنى الحاجز ويكون حول الشرفات، وبجانب السلالم فى الأبنية ليتمسك به الصاعد والنازل كيلا يقع على الأرض. انظر: الألفاظ التاريخية ص٧٣ .

فقال الأمير: اتركوا شهرًا وخذوا شهرًا، وفى فتنة الناصر كذلك، ولما ملك دمشق الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل[1] كان وزيره أمين الدولة عبد السلام، فعمل طلّسمًا للحمام - بالتخفيف - وصح فلا تدخله واحدة؛ قاله فى الدارس.

قلت: لعله خرب، ففى هذه الأعصار كثير فيه جدًا.

وأما الغمام: فلا يرى فيه، وهذا من العجب وبطل.

قلت: وفى عصر المائة والألف ورد لدمشق الإمام الجليل الكبير الحافظ المحدث محمد بن سليمان المغربى، وكان إمامًا فى العلوم العقلية، والنقلية، والهيئة، والهندسة، والفلك، والرصد، فأراد أن يرصد الزلقط[2]، والدبور فى دمشق [لأنه] لا يرى إلا فيها، وعمل تمثيله فى كرات من رصاص، ثم جيء إليه ليكتب عليه، وكان متمرضًا بمرض الموت، وتوفى بعد سنة، ولم يكمله، ودفن بالسفح من قاسون.

قلت: وقد عمل أبو البقاء الناصر الصالحى رصدًا للناموس بالصالحية بمحلته، ودخلته، وهى إلى الآن لا ترى، ولا يقرص أحد؛ كذا أخبرنى من أدركه من القدماء، وذلك مشاهد.

وأحرقت الشرقية فى السبعمائة، وأقامت ثمانية أشهر خرابًا، ثم تولى عمارتها الرشيد الصالحى نائب المملكة، وفى الستمائة[3] رفعت جميع الخزائن،

---

(١) إسماعيل الصالح عماد الدين أبو الخيش بن محمد أبى بكر العادل من ملوك الدولة الأيوبية كان ملكاً شهماً محسناً لحاشيته كثير التجمل. توفى مقتولاً سنة ٦٤٨هـ. شذرات الذهب (٥/٢٤١) . الزركلي: الإعلام ١/ ٣٢٤ .

(٢) نوع من الزنابير.

(٣) فى المخطوط الثمانية وهو تحريف انظر الدارس.

والصناديق من الجامع فى ولاية إياز الجراكسى، وكانت قريبًا من ثلاثمائة خزانة ومقصورة، حتى وجدوا فيها قوارير البول، ووسع الجامع، ومنع كثيرون من المجاورين، وخرج على الجامع نحو عشرين ألفا من المهندمين ترخمه، وجدد مشهد زين العابدين بن علىّ، وكان خرابًا، ولم يبق من المجاورين سوى واحد، وكان لكل من المجاورين موضع مقدار دورة واقتطعه، وعمل فيه صندوقًا حتى صار فيهم كأنه خان، وأمر بتجديد باب البريد وبلطه، ونقل الشماعين إلى حوانيته التى فى الحائط، وكان قبل بها سوق الأكفانيين، وكان بالجامع حواصل كثيرة للأمراء وغيرهم من خيم وغيرها ودف، فأمر بإزالتها؛ فاتسع الجامع وزاد رونقه، هذا حين دخل الملك إسماعيل.

وأما الأسباع فكثيرة، وأما الأئمة فتسع، والسبع الكبير رجاله ثلاثمائة، وقيل: ثلاثون. سبع منها للحنابلة، والمالكية.

والكوثرية بعد العصر تجاه المقصورة فيه أربعمائة وعشرون نفرًا، وفيه ميعاد بالكلاسة للقاضى الفاضل.

والغزالية، وتعرف بالشيخ نصر المقدسى[1].

والأسدية، والمنجائية، والقوصية الحنفية، والمقصورة الكبيرة حنفية، والزاوية المالكية.

قال فى الدارس: ولاشك [لأنه] من مفارقات الدنيا، ومن ثم قيل: رابع حرم، وفيه أثر عن النبى ﷺ أنه رابع حرم، ومن أراد أن يطلع على فضل الشام، فيطالع (تاريخ الإسلام فى فضائل الشام) للحافظ الذهبى، وكانت نقوشه الرخام

---

(١) نصر بن إبراهيم بن نصر أبو الفتح المقدسى شيخ الشافعية في عصره بالشام من كتبه كتاب الحجة على تارك المحجة ، والأمالي والتهذيب . ت : (٤٩٠هـ). ينظر: ترجمته فى شذرات الذهب(٣/٣٩٥)، الزركلي : الإعلام ٨ / ٢٠.

الأبيض المختم بالأزرق وهو محلى فى سائره، وسقوفه مدهونة مزركشة، وتغيرت محاسن نقوشه، وفسدت أيام الحريق، وقصة التيمورلنك وغيرها، وكان فى دائرة نقوش سائر بلدان الدنيا كالهند والصين، وجميع الفواكه منقوشة بالفسيفساء الملونة، وهو شيء عجيب لم يُرَ مثله.

قال ابن المزلق[1]: وطوله مائتا خطوة وخمس وثلاثون، ويكبر بالمرجع المغربى أربعة وعشرون مرجعًا، وهو يكبر مسجد النبىﷺ ، [وعدد] شمسياته الزجاجية الملونة مع الثلاث الكبار التى فى المقصورة أربع وسبعون.

قال: وينعكس شعاع الشمس بألوان غريبة فى الحائط كالأرجوانى، والأحمر، والأصفر، والأخضر، والأزرق، والمحراب من عجائب الدنيا وفيه أعمدة صغار، ومحاريب صغار، نقشية مادية يحفها أسورة مفتولات بعضها أحمر، كأنه مرجان.

قال: وفيه ثلاث مقاصير؛ مقصورة معاوية: وضعت فى الإسلام طولها أربع وأربعون شبرًا، وعرضها نصفها، وفيه مقصورة من جهة الشرق، والثالثة بالجانب الغربى يدرس بها الحنفية.

وله أربعة أبواب؛ القبلى وهو الزيادة، والشمالى للناطفيين، والبريد، وجيرون، والمغربى دهاليز متسعة تفضى إلى باب عظيم كانت كلها مداخل الكنيسة.

قال ابن جبير[2]: وللجامع أربع سقايات فى كل جهة سقاية، وأعظمها باب جيرون، مفروش بالبلاط بدرج عظيم، وبلاط عريض طويل، وهو خمسة أبواب

(١) انظر: مخطوطة (نزهة الأنام فى محاسن الشام) (ل١٠٧).

(٢) أي فى الرحلة.

مقوسة، لها شيد أعمدة فى جهة اليسار مشهد كبير فيه رأس سيدنا يحيى ـ عليه السلام ـ وقد انتظم أمام البلاط درجة، وأنت داخل تنحدر عليها إلى الدهليز[1]، وهى كالخندق العظيم يتصل إلى باب عظيم الارتفاع، فى لحد الحدرية أعمدة كالنخل الطوال، وكالأطواد طولا وفخامة، وكانت على الدهليز أعمدة كانت عليه شوارع مستديرة، بها حوانيت العطارين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة مستديرة فيها الحجر والسوق، وفى وسطه الحوض وأنبوب مزعج بقوة فيرتفع أزيد عن قامته، وحوله أنابيب صغار، وعن يمين الخارج شبه غرفة، لها شبه طاق كبير مستدير فيه طير من صفر فى فمه بازين من صفر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين، فتبصر البازين يمدان عنقيهما بالصفحتين إلى الطاستين، ويعيدان فاههما بسرعة، فتسمع لها دويا، فيعودان من الأثقاب إلى داخل الجدار إلى الغرفة، ويغلق الباب المعين بلوح من صفر فلا يزال كذلك حتى تنقضى الساعات، فتغلق الأبواب كلها، ثم تعود إلى حالتها الأولى، ولها [بالليل] [2] تدبير آخر أن القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتى عشرة دائرة من نحاس مخرمة، فى كل دائرة زجاجة، وخلف الزجاج مصباح يدور به، وتسمى الميقاتية على ترتيب مقدار الساعات، ولها مشارف، انتهى.

وقلت: ومن عجائبه أن أبوابه منها ما يدخل إليه بنزول، ومنها بطلوع؛ الأول، كباب البريد، والثانى باب جيرون، وبقية الأبواب سوية؛ فتأمل.

وفيه: قبة النسر، وهى توازى الأطواد، وقبة صغيرة فى الشرق، والأخرى فى الغرب مصفحة بالرصاص، ولا يحصل فيه قمط فؤاد ولا سأم، والله أعلم.

---

(١) الدهليز هو: خيمة السلطان ترافقه فى الحروب، أو فى الصيد والتنزه ويستعمل اللفظ حاليا لممر يقع داخل المنزل تغطى ببناء فوقه ليصل إلى فسحة المنزل. انظر: معجم الألفاظ التاريخية ص٧٧ .

(٢) زيادة يستقيم بها المعنى من النزهة (٨٩أ).

وبناه الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد أن حرر حد خالد بن الوليد، فرأوا حده خارجًا عن قنطرة باب البريد بالمساحة بأربعة أذرع، وكانت الحصة الشرقية منه بأيدى الكفار، ودفع لهم مالاً جزيلاً، فلم يمكن حرزه، فحرز، فدخل الجامع كله فى حد خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ، وطالبهم ببعض كنائس، ثم هدمه ما سوى الجدران الأربعة وزخرفه.

قال البكرى فى تاريخه: بُويع له للنصف من شهر شوال سنة ست وثمانين من الهجرة، وهو ابن تسع وثلاثين، وتوفى يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة لسنة ست وتسعين، وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر، ولقب بالمستقيم بالله، وتم أمره بالخلافة، وهو الذى بنى الجامع، وأنفق عليه أموالاً عظيمة، فقال: كان الذى أنفقه عليه أربعمائة صندوق، فى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار.

وقال البكرى: وسك الدنانير أزيد من دنانير السوق، وهدم ـ رحمه الله ـ الدور التى كانت بجوار النبى ﷺ، وأدخلها فى المسجد حتَّى صار طوله مائتى ذراع وعرضه كذلك، وفى أيامه فُتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند.

قال البكرى: وكان جبارًا متعاظمًا؛ إلاّ أنه كان من محاسنه الكرم والنهى عن محارم الله تعالى، وروى عنه أنه قال: لولا أن الله ـ تعالى ـ ذكر آل لوط فى القرآن ما ظننت أن أحدًا يفعل هذا، ثم مات فى أثناء العمارة، فبقيت على يد أخيه سليمان بن عبد الملك بن مروان، بويع له فى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، وهو ابن اثنتين وأربعين سنة، وتوفى لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر، وعمر دارًا هائلة بقبة صفراء بدمشق بدرب

محرز، فجعلها دار الخلافة لمعاوية، وكان شابًا فصيحًا متنزهًا، مؤثرًا العدل، محبًا للغزو، ومولده سنة أربع وخمسين[1]، وكان مليح الشكل، مقرون الحاجبين، يقرب شعره إلى منكبيه.

قال محمد بن سيرين: رحم الله سليمان بن عبد الملك افتتح الخلافة بإحيائه الصلاة لمواقيتها، وختمها بخلافة ابن عمه عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه -، ومن محاسنه [أنه] كان رفيقا بالرعية كثيرًا، جزاه الله خيرًا.

ذكر ممالكها وبلادها وما لها من ترتيب المواكب السلطانية الخليفية:

قال فى كوكب الملك: وهى تشتمل على سبع نيابات تجرى فى الترتيب قريبًا من ترتيب المملكة المصرية فى المدن والبلاد والطريق والقلاع.

الأولى: المملكة الشامية وتقدم، وكان مواكبها موكب حلب أكبر منها؛ لأنها جناح الملك من الجهة الشرقية؛ فإن أغلب الفتن من قبلها، ثم رفعت عليها دمشق لقوى عساكرها، وقربها من المملكة المصرية، وأنها قطب دائرة الممالك الشامية لامتداد الممالك منها، وتسمى جلق جيرون.

قال فى الكوكب: بناها نوح عند نزوله من السفينة بعد بناء حران.

وقيل: بناها جيرون بن عاد، وقيل: جيرون وأخوه بريد ابنا لقمان بن عاد، وقيل: العاذر غلام إبراهيم - عليه السلام - وتقدم.

وهى مدينة حسنة الترتيب، جليلة الأبنية، وبها الجوامع والمساجد، والخوانق، والربط، والقواسير ما لم يكن فى غيرها.

وقال: فى جانبها الغربى القلعة، وهى صنمية يحوط بها الخندق لتطويف الماء عند الضرورة، فإذا دعت الضرورة أطيف الماء حول خندقها وسورها، وبالميدان

---

(١) في الأصل تسعين والتصويب من المصادر التاريخية.

القصر الأبلق المبنى بالحجر الأسود والأصفر بتأليف غريب، بناه الملك الظاهر بيبرس، ومثله القصر الأبلق بقلعة الجبل بمصر المحروسة.

قال: وإلى جانبهما مدينة تسمى الصالحية، يسكنها كثير من الأمراء والجند، تشرف على دمشق كلها وعلى غوطتها، ولها الأنهار السبعة المتسلطة عليها؛ منها أنهار شرقيات، والخمسة غربية، يقال: أنفق فى جامعها أربعمائة صندوق كما تقدم؛ كل صندوق ثمانية وعشرون ألفًا وتقدم فى تاريخ البكرى[1] أربعة عشر ألفًا؛ فحملها على ذلك أحد عشر ألف دينار ومائتى ألف دينار.

وقيل: خراج الشام سنة.

قال: ولم تزل زاهية العين والبنان كاملة المحاسن إلى أن طرقها التيمورلنك فى سنة ثلاث وثمانمائة، فحرق جميع ما فى داخل السور، ونهب غالب أموالها، وأسر جماعة منها، ولم يبق بها عامرًا سوى ظاهرها.

وفى نيابتها : ثلاثة مقاصد:

الأول: وهو أن نيابة دمشق الآن هى أجلّ النيابات فى الأقطار الشامية، ومقام نائبها فى الممالك مقام الكافل بمصر، ويعبر عنه بكافل السلطنة الشريفة، وتقليده من أعظم التقاليد، ويكتب عنه أكبر الوظائف، تجهز لها الأبواب الشريفة، وللنائب من الحاشية مثل ما للسلطان غالبًا من الدوادارية والخزاندرية[2]، وأمير مجلس، وأمير، وأمير آخور وشاد الشربجات ومهاترة السوق، وغيرهم من

---

(١) في ط: العسكرى وهو تحريف.

(٢) الخزندارية ومنها الخزندار لقب للذى يتحدث على خزانة السلطان أو الأمير، أو غيرهما، وهو مركب من خزانة، وهى ما يخزن فيه المال وكلمة دار ومعناها ممسك والمقصود ممسك الخزانة. انظر: معجم الألفاظ التاريخية ص٦٨ .

الغلمان، تشتمل على خيول خامة، ورأس طوالها بالذهب، وبغال، وأكاديش[1]، وبخاتى، وجمال تجهز للسلطنة، وأقمشة، ومماليك كذلك مما يكون قيمته عشرة آلاف دينار.

وبدمشق نائب قلعة منفردًا عن نائبها.

قال فى الكواكب: وكان نائبها فى القديم مقدم ألف، ثم استقر طبل خاناه[2] إلى الآن.

قلت: وفى قوانين بنى عثمان الآن لا يكون طبل خاناه، وعادة نائبها أنه لا يسلم مفاتيحها إلاّ لمن يتولاها مكانه يدًا بيد، أو مَنْ يأمر له السلطان بتسليمها منه، وللقلعة أجناد يلبسون بها لأمر طارئ، ولا يحضر دار النيابة، وبالمدينة ثمانية أمراء: أحدهم الأمير الكبير، وجُعِلَ ذلك علما عليه، وإليه الخطاب من النائب، ويشاركه فى رأى المهمات الشريفة.

قال: وغالبًا يكون مكان النائب عند غيبته، انتهى.

قلت: وهذا الوجه بطل فى قانون بنى عثمان؛ فإن النائب ينوب عنه من أراد، وهم المعبر عنهم فى دولة بنى عثمان الأيباشية، ولهم فى قانون بنى عثمان ليس الرئيس الكبير فى أيام المواكب وملاقاة الوزراء، وعليهم سفر سوى الأمير الكبير منهم، وذلك إلى الآن، والله أعلم.

---

(١) الأكاديش مفردها الإكديش: وهو اسم للحصان الهجين الأعجمى فى مقابل العِراب وكانت تجلب من بلاد الروم والترك وغالباً ما كانت مشقوقة الأنف وهى صبورة على السير سريعة المشى. انظر: معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٩ .

(٢) أمير الطبلخاناه: هو الأمير الذى يرق إلى درجة يستحق أن تضرب الموسيقى على بابه، ويكون أمير أربعين، ويتدرج فى الزيادة إلى الثمانين، ويعد أمير الطبلخاناة فى الدرجة الثانية بين الأمراء معجم الألفاظ التاريخية ص١٠٦ .

وبها من أمـراء الطبل خاناه؛ أحـد وعشرون أمـيرًا، ومن العشـراوات إحدى وخمسون أميرًا، ومن الخمسـات ثلاثة وعشرون أميرًا، وطائفة تسمى جند الحلقة، ولعل الآن مـوضعـهم الزعمـاء بدمشق ـ أى: الينكجـرية[1] ـ ولهم رؤسـاء، وبهـا صاحب الحجـاب، ومن عادته الجلوس بدار العدل، وإذا غـاب النائب ولم يستنب الأميـر الكبيـر، فيكون هو نائبا عنـه إلى أن يعود، وإذا أبرز أمر من السلـطان بقبض أحد من الكبار، كان هو المتصدى، وبها فى القانون القديم ستة حُجَّاب، وولايتهم من الأبواب المرتبة، وبطل ذلك فى دولة بنى عثمان، وبهـا استدار كمال السلطنة، وهى المستـخدمة على الغور ومـرامى الشريف، فيصـرف من المتحصل ما يسـتحق صرفه، والباقى يرسله للخزائن السلطانية، واستقراره للشريف من الحضرة الشريفة، وبها نقيب الجيش على طريقة نقباء الجيوش بالأبواب الشريفة.

قلت: لعلهم الآن الجاويشية[2] وبها المهمندار بالأبواب الشريفـة وأمير أخور الشـيزيدار، وبهـا شاد الدواوين، وشـاد المهـمات وقـد بطلوا، وبها والى الشـرطة، يحكم بها بموجب القصاص والجنايات.

وبهـا من أرباب المنـاصب الدينيـة الأربعـة قـضـاة، وكـان أمـثـلهم القـاضى الشافـعى، وفى دولة الأروام أمثلـهم الحنفى، وكان اسـتقرارهم من الأبواب المـرتبة تشاريف وتفاويض.

---

(١) الينكجرية أو الإنكشـارية: الجيش الجديد بالتركـية وتتألف من (ينى) بمعنى جديد أو مـحدث و (تشرى) بمعنى جـيش أو جند، وكـان هؤلاء الجنود يشـكلون فى الأصل عنصـر المشـاة وكـانوا متـمـركـزين فى العاصمة ثم عم اللفظ على الجيش. انظر: معجم الألفاظ التاريخية ص١٥٨ .

(٢) الجـاويشيـة منها الجـاويش: لفظ تركى لرتبـة عـسكرية وفى الأصل بمعنى حـاجب وهو صاحب البـريد، والدليل فى الحروب ومأمور أخبار واستخبار وهو رئيس العشرة معجم الألفاظ التاريخية ص٥١ .

قلت: الآن ذلك لا يكون إلا للحنفى، وترتبه من النائب، بها فروة من السمور وذلك إلى الآن.

وبها أنشأ دار العدل شافعي وحنفى، واستقرارهما للتشاريف وتوقيع من الأبواب الشريفة.

قلت: الآن لا توقيع إلا للحنفى وهو المفتى فى دار العدل، ويحضر مع المدرسين وقت الديوان دون غيره.

وبها وكيل بيت المال كذلك، وبها نقابة الأشراف وولاية صاحبها من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف، وبها شيخ الشيوخ، وهى من الوظائف الجليلة كالنقابة.

قلت: وهذه لا أثر لها الآن، وبها من أرباب الوظائف الديوانية كاتم السر تقارب كاتم سر الملك، وهو بتشريف، وله أتباع، وهم كتاب الدست[1]، وكتاب الدرج بالمملكة الشامية، ولايتهم من الأبواب الشريفة، وبها ناظر خزائن السلاح، وظيفة جليلة تتحدث على ما يشتمل من السلاح للخزائن الشريفة وللقلعة بدمشق، وكان بها ناظر المهمات، وناظر الخزنة، وناظر السيوف وناظر مراكزهم، والبريد، وقد ذكرت مصطلح هذه الوظائف فى حدائق الياسمين فى ذكر (قوانين الخلفاء والسلاطين)، والله ـ تعالى ـ أعلم.

وبها خزانة الطب وجراح باشا، وحكيم باشا، وشرطه أن يكون مسلمًا، وهو إلى الآن.

---

(١) الدست : كرس من أربعة كراس لكتاب يكتبون ما يريد السلطان، ويضعون توقيعهم بدله بإذنه نيابة عنه وترسل للتنفيذ، ويقال كراس الدست، أو توقيع الدست أو كتبة الدست ، معجم الألفاظ التاريخية ص٥٧ .

المقصد الثاني: فيما هو خارج عن محازاتها من المدن، والقلاع، والقرى، والضياع، ويشتمل على بر وأربع صفقات:

أما برها فالمراد نواحيها، وأما صفقاتها فأربع: الصفقة الغربية[١]، وهى بلاد غزة وما جاورها، ولها ناحيتان، الأولى: الساحلية، وهى التى بساحل بحر الروم، وتشتمل على أربعة أعمال: الأول: غزة، الثاني: الرملة، وفيه عمل يافا، الثالث: عمل اللُّد[٢]، والرابع: عمل قاقون[٣].

الناحية الثانية من الصفقة الأولى: الجبلية، وبها ثلاثة أعمال: عمل القدس، وهو لفظ، غلب على مدينة القدس، وهى ذات المسجد «الأقصى أحد المساجد التى تُشد إليها الرحال»، وأصل التقديس التطهير، والمراد المطهر من الأدناس، وبها المدارس، والربط، والحمامات، والأسواق والعمائر، وشرب أهلها من ماء عين سلوان.

الثاني من الصفقة الجبلية: عَمَلُ بلد الخليل ـ عليه السلام ـ، واسمها بيت حبرون، وبها قبور الأنبياء: إبراهيم، ويعقوب، وإسحاق، ونسائهم، عليهم السلام.

الثالث: عمل نابلس، وهى مدينة من جند الأردن.

---

(١) في المخطوط الساحلية والجبلية والتصحيح من صبح الأعشى.

(٢) عمل لُدّ ـ بضم اللام وتشديد الدال المهملة ـ وهى بلدة من جند فلسطين واقعة فى الإقليم الثالث شرقًا بشمال عن الرملة، وبينهما ثلاثة فراسخ، ولم يتحرر لى طولها وعرضها غير أنها نحو الرملة فى ذلك: لقربها منها أو أطول وأعرض بقليل، وهى مدينة قديمة كانت هى قصبة فلسطين فى الزمن الأول إلى أن بنيت الرملة فتحول الناس إليها وتركوا لد، وقد ثبت فى الصحيح أن المسيح ـ عليه السلام ـ يقتل الدجال ببابها.

انظر: صبح الأعشى (٤/١٠٠). الأندلسي: معجم ما استعجم (٢ / ١١٥٣).

(٣) بفتح القاف وبعدها ألف ثم قاف ثانية مضمومة ـ وهى مدينة لطيفة غير مسورة، بها جامع وحمام وقلعة لطيفة، وشربها من ماء الآبار، ولم يتحرر لى طولها وعرضها، إلا أن بينها وبين لد مسيرة يوم فلتعتبر بها بالتقريب.

انظر: صبح الأعشى (٤/١٠٠).

قال فى مسالك الأبصار: بها البئر التى حفرها يعقوب عليه السلام، وكانت قديمًا للسامرة، والجبل: جبل الطُّور نابلس الذى يحجون إليه.

الصفقة الثانية من صفقات دمشق :القبلية، وتشتمل على عشرة أعمال، الأول: عمل بيسان[1]، الثاني: عمل بانياس[2] وبه قلعة الصبيبة، الثالث: عمل الشعرا[3]، الرابع: عمل نوى، الخامس: عمل أذرعات، ويقال: تدرعات، السادس: عجلون وهى قلعة من جند الأردن مبنية على جبل عوف، تشرف على الغور محدثة فى سلطنة العادل[4] أبى بكر بن أيوب فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة،

---

(١) بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح السين المهملة ونون ـ مدينة من جند الأردن من الإقليم الثالث. قال فى الأطوال: طولها ثمان وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة. وقال فى « تقويم البلدان »: القياس أن طولها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وسبع وعشرون دقيقة، وهى مدينة صغيرة بلا سور، ذات بساتين وأشجار وأنهار وأعين، كثيرة الخصب واسعة الرزق، ولها عين تشق المدينة، وهى على الجانب الغربى من الغور. قال فى التعريف: وهى مدينة الغور، وبها مقر الولاية، قال فى مسك الأبصار: ولها قليعة من بناء الفرنج، قال في الروض المعطار: ويقال طالوت قتل جالوت هنالك. انظر: صبح الأعشى(٤/١٠٣-١٠٤). معجم البلدان (١/٥٢٧) .

(٢) عمل بانياس ـ بياء موحدة وألف ونون وياء مثناة تحت وألف ثم سين مهملة ـ مدينة من جند دمشق واقعة فى الإقليم الثالث، قال فى تقويم البلدان: طولها ثمان وخمسون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة. قال: وهى على مرحلة ونصف من دمشق من جهة الغرب بميلة إلى الجنوب، قال فى العزيزى: وهى فى لحف جبل الثلج، وهى مطل عليها والثلج على رأسه كالعمامة لا يعدم منه شتاء ولا صيفا. قال فى مسالك الأبصار: وهى مدينة الجولان، وبها قلعة الصبيبة ـ بضم الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وهاء فى الآخر ـ قال فى التعريف: وهى من أجل القلاع وأمنعها. انظر: صبح الأعشى(٤/١٠٤)، الحموي : معجم البلدان (١ / ٣٣٠) .

(٣) عمل الشعرا ـ بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وفتح الراء المهملة وبعدها ألف ـ وهى عن بانياس المتقدمة الذكر شرق بجنوب، وطوله ما بين بانياس إلى جبل الثلج. قال فى التعريف: والولاية بها تكون تارة بقرية حان ـ بالحاء المهملة ـ وتارة بقرية القنيطرة تصغير قنطرة، ولم يتحرر لى طولهما، وعرضهما فلتعتبرا بما قاربهما من الأعمال. انظر: صبح الأعشى (٤/١٠٤).

(٤) بناها عز الدين أسامة بن منقذ أحد أكابر أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. صبح الأعشى (٤/١٠٥).

وكان بها راهب يقال له: عجلون؛ فسميت به، ومدينته هذه عمل الباعونة[1]

السابع: عمل البلقاء.

قال في الروض المعطار: سميت بالبلقاء بن سورية مَن بني عبيدة[2] من لوط عليه السلام، الثامن: عمل صرخد، وكان بها قلعة عظيمة، وبها ملك عظيم، فلما خرج هولاكو على البلاد هدمها، ثم جددها الملك الظاهر بيبرس، وممن وليها العادل بعد خلعه من السلطنة، التاسع: عمل بصرى، وبه قلعة، وكانت دار الملك ابن أيوب، وبها وجد النبى ﷺ بحيرى الراهب عند سفره إلى الشام بمتجرة لخديجة - رضى الله عنها - فبشر بمبعث النبى ﷺ حين رآه، وقبر بحيرى الراهب بها مشهور، والعاشر: عمل ذُرَع.

قال في التعريف: وقد يتصل عمل بصرى بأذرعات.

الصفقة الثالثة الشمالية: وهى ساحلية وجبلية، وتشتمل على خمسة أعمال:

الأول: بعلبك، وهى مدينة عظيمة بناها نبى الله سليمان[3] - عليه السلام - بن داود - عليه السلام - مختصرة من مدينة دمشق فى كمال محاسنها وغزارة المياه، وهى جارية فى دورها وأسواقها.

وبها مدارس، وخوانق، ومرابط، وأسواق، وحمامات، وكانت دار [ملك قديم ومن عشها درج نجم الدين] [4] أيوب؛ أبو الملوك الأيوبية، وبها قلعة عظيمة

---

(١) بفتح الباء الموحدة وألف بعدها ثم عين مضمومة وواو ساكنة ونون مفتوحة وفى آخرها هاء - وهى على شوط فرس من عجلون، قال فى المسالك: وكان مكانها دير أيضا به راهب اسمه باعونة فسميت المدينة به، وهما شرقى بيسان. انظر: صبح الأعشى (١٠٦/٤).

(٢) فى الأصل عبيد والتصحيح من معجم البلدان ومن صبح الأعشى(١٠٦/٤) .

(٣) يذكر ذلك بصيغة التمريض ففى صبح الأعشى يقال إنها من بناء سليمان عليه السلام ، وهي مهر بلقيس وبها قصره عليه السلام . انظر : صبح الأعشى (٤ / ١٠٩) ، الحموي : معجم البلدان (٤٥٤/١) .

(٤) في الأصل ملوك بنى وهو تحريف والمثبت من صبح الأعشى(١٠٩/٤).

البناء وبظاهرها جبل لبنان المعروف بعش الأولياء من عمل البقاع البعلبكى منسوب إلى بعلبك.

[الثاني: عمل البقاع البعلبكى: نسبة إلى بعلبك؛ لقربه منها. قال فى التعريف وليس له مقر ولاية][(١)].

الثالث: عمل البقاع العزيزى نسبة إلى العزيز بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. ومقر الولاية به الكرك، أى: كرك نوح، عليه السلام.

الرابع: عمل بيروت، وهى مدينة بساحل دمشق الشام على حافة البحر الرومى، وبها جبل به معدن الحديد، وبها غيضة من أشجار الصنوبر، وسعتها اثنا عشر ميلاً، وبها الموز، وزهر الفل الطيب الرائحة، ويأتى الموز منها إلى دمشق، وترابها يميل إلى الاصفرار شديد [فى] ذلك، وبها قبر الإمام الأوزاعى شرقيها ـ رحمه الله تعالى ـ وبها حمام عظيم وهى فرضة دمشق، ولها ميناء جليلة.

الخامس: عمل صيدا بساحل البحر الرومى، بناها صيدون بن كنعان بن حام بن نوح، عليه السلام، وقيل: امرأة فسميت بها، وقراها تشتمل على نيف وستمائة ضيعة. قاله فى الكواكب.

وقال [فى] الصفقة الرابعة الشرقية : وتشتمل على ستة أعمال:

الأول: عمل حمص: وهى مدينة عظيمة بناها رجل من العمالقة[(٢)] يسمى حمص، واسمها القديم سوريا، وشرب أهلها من نهر العاصى، ولم يكن فى البلاد

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من صبح الأعشى(٤/١١٠)، وقيل اسم الرجل الذي بناها حمص بن المهر بن جان بن مكنف

(٢) ذكر ذلك القلقشندى فى صبح الأعشى(٤/١١٢) ، وقيل اسم الرجل الذي بناها حمص بن المهر بن جان بن مكنف .

الشامية أصح من هواها، وبها بحيرة صافية الماء، ولا يكون بها عقارب ولاحيَّات، وكان بها دار أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين بن أيوب - سقى الله عهده - وبها قبر السيد خالد[1] بن الوليد الصحابى - رضى الله تعالى عنه - ويقال: إن قبر بقراط الحكيم[2] بها، وإن أهلها أول من ابتدع علم الحساب الجارى بين الناس الآن.

الثانى: عمل مِصْيَاف وهى قلعة حصينة فى لحف جبل اللُّكام الشرقى وهى قاعدة قلاع الدعوة، مقره الفداوية، وكانت من أعمال طرابلس، ثم أضيفت إلى دمشق، ولا يسكن بها إلا أهلها.

الثالث: عمل قارا[3] وتكتب قارة بالألف والهاء، تنزلها قوافل السفارة للأمن، وغالب أهلها نصارى.

الرابع: عمل السلمية، وهى من أعظم عمل حمص، قال أحمد الكاتب: بناها عبد الله بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وأسكن بها ولده، وهى كثيرة الأشجار والفواكه.

الخامس: عمل تدمر: وهى من أعمال حمص، وغالب أرضها سباخ.

قال فى الروض المعطار: بنتها الجن لسليمان - عليه السلام[4]- وسميت بتدمر بنت حسان بن أُذينة، وفيها قبرها، وسكنها سليمان نبى الله - عليه السلام - بعدها.

---

(١) وذلك صحيح النسبة ينظر معجم البلدان وصبح الأعشى (١١٤/٤).

(٢) قال فى الروض المعطار: بقراط الحكيم منها. وينظر صبح الأعشى (١١٣/٤).

(٣) قارا : قرية كبيرة على قارعة الطريق، وهى المنزل الأول من حمص للقاصدين إلى دمشق، وهى كانت آخر حدود حمص وما عداها من أعمال دمشق وبها عيون جارية . معجم البلدان(٤ / ٢٩٥) .

(٤) ينظر صبح الأعشى (١١٤/٤).

قال فى آثار العباد والبلاد[1]: أبنيتها من أعجب البناء، موضوعة على أعمد الرخام، زعموا أنه ابتنتها الجن لسليمان، عليه السلام.

قال النابغة الذبيانى[2]:

إلا سليمانَ قد قال الإله لـــهُ	قم بالبرية فاحدُدْها عن القيد
وحبِّس الجنَ إنِّى قد أمرتُهُمُ	يبنونَ تدمرَ بالصِّفَّاح والعَمْدِ

حكى إسماعيل بن محمد المقرى قال: كنت مع مروان بن محمد آخر ملوك بنى مروان الأموى حين هدم حائط تدمر، فأفضى الهدم إلى جرن عظيم، فكشفوا عنه صخرة، فإذا بيت مجصص كأن اليد قد رفعت منه الآن، وإذا سرير عليه امرأة مستلقية على ظهرها عليها سبعون حلة ولها عذاز مشدود بخلخالها. قال: وكانت قدمها ذراعًا من غير الأصابع، وفى بعض غدائرها صفحة ذهب فيها مكتوب... (باسمك اللَّهُمَّ)، أنا تدمر بنت حسان أدخل الله الذل على مَنْ يدخل علىّ، فأمر مروان بالجرن فأعيد كما كان، ولم يأخذ شيئًا من حليها. قال: فوالله ما مكثنا بعد ذلك أيامًا حتى أقبل عبد الله بن على العباسى، وفرق جيش ابن مروان، وأزال الملك عن بنى أمية، وبها تصاوير كثيرة.

السادس: عمل الرحبة أول من عمرها مالك بن طوق، وكان من قواد هارون الرشيد؛ فنسبت إليه، وخربت، واستجدها شيركوه صاحب حمص الرحبة الجديدة التى هى الآن عامرة، وبها قلعة على تل من تراب، وهى الآن أحد الثغور الإسلامية، وبها قلعة النيابة، وبها بحيرة وطوائف.

---

(١) انظر : آثار العباد (١/٢١٩).

(٢) النابغة: هو زياد بن معاوية بن ضباب، الغطفانى المضرى، شاعر جاهلى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ، فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. من آثاره : ديوان شعر، توفى سنة (١٨ ق.هـ)، انظر: كشف الظنون(١٠٤٨) معجم المؤلفين(١/٧٣٨).

المقصد الثالث: فى أرباب الأمور، وهى على أربعة أنواع.

الأول: النيابات وهى ثلاث طبقات:

الأولى: نيابة غزة.

قال القزوينى: مدينة طيبة بين الشام ومصر على طرف رمال مصر، قال عليه الصلاة والسلام « **أبشركم بالعروسين: غزة وعسقلان** ».

قد افتتحهما معاوية بن أبى سفيان زمن عمر - رضى الله تعالى عنه - إنها مولد الإمام الشافعى ولد بها سنة خمسين ومائة، وكان رحمه الله تعالى يجعل الليل أثلاثًا؛ ثلثًا لتحصيل العلم، وثلثا للعبادة، وثلثا للنوم.

ولها حالان:

الأولى: أن تكون نيابة؛ فيكون حكمها على الساحل والجبل، وواليها وقضاتها، ولايتها من الأبواب الشريفة بتشاريف وتواقيع.

الحالة الثانية: أن تكون تقدمة عسكر، فله الساحلية فقط، ويقال له: مقدم العسكر بغزة المحروسة، ولايته من الأبواب أيضًا، وبها حاجبان الأول: طبل خاناه، وبها من أرباب المناصب الدينية القضاة الأربعة، وبها المحتسب ووكيل بيت المال، وبها كاتب درج، ويسمى صاحب ديوان المكاتبات بغزة، وولايته من الأبواب، وربما يحتمل تشريفًا من الحضرة الشريفة.

الطبقة الثانية: نيابة القدس الشريف من الصفقة الثانية، وكانت قديمًا نيابة صغيرة، ويولاها نائب الشام، ثم استقرت طبل خاناه سنة سبع وستين وسبعمائة، قاله فى التثقيف، وكان يضاف إليها نظر المقدس، والنظر على مقام الخليل - عليه السلام - ويمتد عنه بنظر الحرمين، ثم انفرد النائب عن النظارة، وكان بها ولاية القلعة من نائب الشام، وبها أربعة قضاة وولايتهم من الأبواب، وبها محتسب

وولايته من نائبـها، وبها نيابـة، وبها نيابة جديدة من الصـفقة القـبلية ويولاها نائب الشام، وبهـا نيابات بعلبك من الصفقـة الشمـالية إمـرة عشرة، والآن طـبل خاناه، وولايتها من نائب الشام.

واعلم أن القدس هى المدينة المشهورة مـحل الأنبياء، بناها نبى الله داود[1] ـ عليه السلام ـ وفرغ منها سليمان نبى الله ـ عليه السلام ـ بأمر من الله، فقال: يارب أين؟ قال: حـيث ترى السيف مصلتا، فـرأى داود ملكًا على الصخرة بيـده سيوف بها هناك، وعـمل سليمـان ـ عليه السلام ـ آثارًا؛ منـها قبـة معلق بها سلسـلة ينالها المحق لا المبطل حتى إنها اضمحلت، وبنى بيتًا وأحكمه؛ فإذا دخل الورع والفاجر كان خيال الورع فى الحائط أبيض، والفاجر أسود[2].

ومنها نصب فى زاوية عصا آبنوس [3]، إن مسها وعلم أنه من ولد الأنبياء لم تضره وإلاّ أحرقته[4]، ثم ضرب الدهر بها، واستولـت عليها الجبابرة[5]، فخربوها فاجتاز بها العزير[6] ـ عليه السـلام ـ فرآها خاوية على عـروشها، فقـال: أنى يُحيى هذا الله بعد موتها، فـأماته الله مائة عام، ثم بعثه وعمـر بها ملك من ملوك الفرس،

---

(١) فى الروض المعطار: وأول من بنى بيت المقـدس وأرى موضـعه يعقـوب عليه السـلام وقيل داود، والذى ذكره فى تقـويم البلدان إن الذى بناه سليمـان بن داود عليهـما السلام وبقى حـتى خربه بختـنصر. ينظر صبح الأعشى (١٠١/٤) ومعجم البلدان(١٩٥/٥) المقدس، أحسن التقاسيم ص(١٤٥).

(٢) هذه من الخرافـات الظاهرة ، ومثلها كـثير في الأزمنة المتأخـرة وهي من أمارات عصـور الانحطاط حيث يتعلق الناس بأوهام لا حقيقة لها .

(٣) الآبنوس: شجر ينبت فى الحبشة والهند، خشبه أسود صلب. ينظر المعجم الوسيط (١٧/١) [آبنوس].

(٤) هذا بلا شك أوهام لا حقيقة لها ومن الكذب البين .

(٥) أمثال بختنصر.

(٦) في معجم البلدان (١٩٥/٥) فاجتاز به إشعيا وعـزير اسم نبى أخبر الله عنه فى القرآن كما فى قوله تعالى ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله [التوبة:٣٠].

يقال له: كوشك، فعمرها، وجعل في جبالها زرعها على أطراف الجبال وقطعها بالفئوس؛ لأن الدواب لا تعمل بها؛ لأن أرضها كلها حجر. وشرب أرضها من ماء المطر غالبًا، ودورها حجرية، لكن مياهها ردية.

وفيها ثلاث برك: بركة بنى إسرائيل، وبركة سليمان ـ عليه السلام ـ وبركة عياض.

قال فى « أخبار بلدان الإسلام » [1]، الإمام محمد بن أحمد البشارى[2] المقدسى: إنها متوسطة الحر والبرد، قل ما يبق فيها الثلج، ولا أحسن من بنائها، ولا أنزه من مساجدها، قد جمع الله فيها فواكه الغور والسهل والجبل والأشياء المتضادة؛ كالأترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز.

قال: وإن لها عيوبًا منها، ما ذكر فى التوراة أنها طست من ذهب مملوء عقارب، ثم لا ترى أقذر من حماماتها، ولا أثقل مؤنة، وبها ضرائب ثقال على ما يباع فيها، وليس لمظلوم بها ناصر، ولا أذان بها إلا بالمسجد الأقصى.

وقال عليه السلام : « لا تُشدُّ الرحال إلاّ لثلاث؛ المسجد الحرام، والمسجد الأقصى ومسجدى هذا »[3].

وهو فى طرف الشرق من المدينة منذ أمد من عمل داود، طول كل حجرة عشر أذرع، فى قبلته حجر أبيض مكتوب بالقدرة « محمد رسول الله» خلقه لم يكتبه أحد، وطول المسجد أكبر من عرضه، وفى وسطه الصخرة، وفيها قدم النبى

---

(١) ينظر هذا النص مطولا في أحسن التقاسيم (١٤٣-١٤٤)، وفى معجم البلدان (١٩٦).

(٢) هو محمد بن أحمد بن أبى بكر المقدسى ويقال له البشارى شمس الدين أبو عبد الله رحالة جغرافى ولد فى القدس له أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم توفى سنة ٣٨٠هـ. ينظر معجم المطبوعات(١٧٧٣) والأعلام للزركلى(٥/٣١٢).

(٣) الحديث أخرجه الترمذى، كتاب الصلاة(٦٣٦) ، والإمام أحمد فى مسنده (٧/٣).

ﷺ، وتحتها مغارة، ولقبة الأقصى أربعة أبواب، وفى شرقيها خارج القبة قبة أخرى على أعمدة حسنة.

قيل: إنها قبة السلسلة، وقبة المعراج، وكذلك قبة النبى ﷺ، كل ذلك على أعمدة مطبقة بالرصاص، قيل: إن قبة الصخرة كان طولها اثنى عشر ميلًا فى السماء، وكان فى رأسها ياقوتة حمراء فى حقوها كانت تُرى منها البلقاء، وبها محراب مريم - عليها السلام - التى كانت تأتى فيه إلى مريم الملائكة بفاكهة الصيف فى الشتاء، وفاكهة الشتاء بالصيف، وبها محراب نبى الله زكريا، عليه الصلاة والسلام.

وأما المسجد: فطوله سبعمائة ذراع وأربع وثمانون ذراعًا، وعرضه أربعمائة وخمس وثمانون ذراعًا، وعدة ما فيه من العُمد ستمائة وأربعة وثمانون، وسقف المسجد أربعة آلاف خشبة، ويُسْرَج فيه ألف وستمائة قنديل، وأربعمائة وارية، وستون قنديلاً، وكان له من الخدام مائتان وثلاثون مملوكًا أقامهم ابن مروان، ورزقهم من بيت المال، وبها عين سلوان تتبرك بها الناس(١)، أوقفها عثمان على ضعفاء بيت المقدس.

قيل: إن شاربها يفيد سلو الحزن، ولذا روى رؤية :

لو أشرب السلوان ما سليت

الصفقة الثالثة: حمص من الصفقة الشرقية وهى بطبل خاناه، ولايتها من الأبواب الشرقية.

---

(١) كيف يتبرك بآثار لا تنطق وهذا مصطدم مع العقيدة الإسلامية وفي أصل المخطوط وفيها عمان على ضعفاء بيت المقدس.

قال القزوينى[1]: هى مدينة بالشام حصينة أصَحّ بلاد الشام هواءً وتربة، كثيرة المياه والأشجار، ولا يلدغ بها عقرب ولاحية، ولو غسل ثوب بماء حمص لا يقرب لابسه عقرب حتى يغسل بماء آخر، وأهلها موصوفون بالجمال المفرط، والبلاغة، ورصد العقرب الحية مصورة على باب المسجد، وهى صورة حية فى الأعلى، والأسفل صورة عقرب، وبها قبر خالد بن الوليد[2]، رضى الله تعالى عنه.

الطبقة الرابعة: الرابعة؛ نيابة العشرات من الصفقة القبلية، وكانت لنائب الشام، وهى بطبل خاناه إلى الآن، وولايتها من الأبواب الشريفة، وبها نيابة مصياف من الصفقة الشرقية، وكانت من مضافات طرابلس ثم استقرت فى معاملة دمشق، وهى بطبلخانة، ولايته من الأبواب المتولى.

الثانى الكشاف بها كاشف القبلية، ومحلة أذرعات، الثاني: كاشف الرملة من الغربية، وكان مولى مِنْ قبل نائب الشام.

النوع الثالث: الولايات، وهى ثلاث طبقات:

الأولى: نيابة نابلس من الصفقة الغربية، وأمراؤها أمراء عشرين، وهى من الأبواب، وطبلخانة فى هذه الآن.

الثانية: ولاية بيروت من الصفقة الشمالية، وولايتها قديمًا من قبل نائب الشام بأمر صغير، والآن من قبل نائب صيدا وقاضيها من الروم.

الثالثة: صيدا، وكان نائبها من قبل نائب دمشق الشام، وهى من الصفقة الشمالية، والآن من قبل الروم وقاضيها كذلك، وكانت لهذه الصفقة ولاية الرملة

---

(١) انظر: مخطوطة آثار العباد وأخبار البلاد للقزوينى (من ل١٠٣:ل١٠٧).

(٢) والأصح أن خالد بن الوليد - رضي الله عنه - مات في المدينة ودفن بها وإن القبر الذي يذكر بحمص إنما هو قبر خالد بن يزيد بن معاوية . انظر الحموي : معجم البلدان (٢ / ٣٠٣) .

من قبل الشام، وولاية قاقون وولاية الخليل - عليه السلام - ، مضافة إلى نيابة القدس، وكانت القدس من قبل، ثم استقرت طبلخانة سنة سبع وستين وسبعمائة، وكانت إمرة غزة، وولاية القرى منها، وكانت مضافة إليها، ثم أفردت عنها وولاية حسبان والصلت منها، وولاية البقاع البعلبكى والعزيزى من الشمالية وهما لمتولٍ واحد، وولاية قَارًا وهى من الصفقة الشمالية، وولاية تدمر منها، وهذه البلاد جميع ولاياتهم من الشام خلا قاقون والصلت، فإنهما من الأبواب.

قلت: بل الآن من نائب الشام وولايته تليها الصبيبة منها، وهى الآن طبلخانة.

قلت: والآن من قبل الشام ولا وكيل لها، وهى الآن طبلخانة بصفد، وولايتها من الأبواب الشريفة مهمة هذا الكتف، وجميع الولايات قد تنتقل فى المراتب عما هى عليه بزيادة ونقص.

النوع الرابع: أمر العربان الداخلين فى نطاق أعمال الشام، وهم سبع قبائل: آل ربيعة من طىء من القحطانية، وكان لربيعة أربعة أولاد، وهم: فضل، ومُرا، وثابت، ودغفل، وقيل: خامس: يسمى بدرًا.

قال فى مسالك الأبصار: ولم تزل عند الملوك لهم المكانة العلية.

والإمرة فى ثلاثة بطون:

البطن الأول: آل فضل رأس الكل، وهم شعب كثيرة، وأسعد بيت منهم آل عيسى - يعنى محمد بن الفضل - وأولاد عيسى لهم ملوك فما بعد أو قرب، ومنازلهم من حمص إلى قلعة جعبر، إلى الرحبة آخذين على شقى الفرات، وأطراف العراق إلى يسار البصرة، ولهم مياه كثيرة، ومنازل معدودة، ولم يصرح لهم بإمرة العربان إلا زمن العادل أبى بكر بن أيوب، وإن أمر آل فضل ليس فوق

جميع العربان، وتشريفة أطلس ومركوبه من الإسطبلات الشريفة؛ فرس خاص بسرج من ذهب أسوة بالنواب الكبار، وتصدر إليه المكاتبات من الأبواب الشريفة إلا أنه لا يكتب تقليدًا ولا مرسومًا شريفًا.

البطن الثانى : آل مُرا بن ربيعة ومنازلهم حوران، قال فى المسالك: وآل مُرا أبطال مناجيد، ورجال صناديد، والإمرة فيهم قريبًا مما تقدم.

قال الشيخ أبو الثناء محمود الحلبى - رحمه الله تعالى - قال: كنت فى نوبة حمص فى واقعة التتار جالسًا على سطح باب الإصطبل السلطانى، إذ أقبل آل مُرا زهاء أربعة آلاف فارس، شاكين فى السلاح على الخيل المسومة والجياد المطهمة، وعليهم الكرغندات الحمر الأطلس المعدنى، والديباج الرومى، وعلى رءوسهم البيض مقلدين بالسيوف، وبأيديهم الرماح كأنهم صقور على صقور، وأمامهم العبيد تميل على الركائب، ويرقصون بتراقص المهارى، وبأيديهم الجنائب التى إليها عيون الملوك نواضر، ووراءهم الظعائن، والحمول، ومنهم مغنية لهم تُعرف بالحضرمية، طائرة السمعة، سافرة من الهودج، وهى تغنى، وحفظت منها.

قول الشاعر:

وكنّا حسبنا كلَّ بيضاءَ شحمة	ليالى لاقينا حذامًا وحميرا
ولما لقينا عصبة تغلبيةً	يقودون خُردًا للمنية ضمَّرَا
فلما قرعنا النبغ بالنبغ بعضَهُ	ببعضٍ أبتْ عيدانه أن تكسّرَا
سقيناهُم كأسًا سقونَا بمثله	ولكنَّهم كانوا على الموتِ أصبرا

قال: وكان الأمر كذلك، فإن الكسرة كانت أولًا على المسلمين ثم كانت لهم الكسرة على التتار، فسبحان منطق الألسن، ومصرف الأقدار؛ نقله الجنابى[1] فى تاريخه.

(١) هو شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان الحلبي ، ولد سنة ٦٤٤هـ وتوفي سنة ٧٢٥هـ . انظر : البغدادي : كشف الظنون (٦ / ٤٠٨) .

البطن الثالث : آل على بن حديثة بن فضل المتقدم، وديارهم مرج دمشق وغوطتها بين إخوتهم آل فضل، وبنى عمهم آل مُرا، ذات أموال جمة، ومكانة فى الدولة العلية، والإمرة لم تزل فى زمن جدهم محمد ابن أبى بكر من أيام المنصور، ومنهم بنو جرم من طيئ، ومنازلهم بلاد غزة إلى بلاد الخليل، ومنهم ثعلبة من طيئ، وأراضيهم جهات غزة.

ومن القبائل الطائفة : بنو مهدى .

قال فى مسالك الأبصار: وهم من طريف، وطريف من جذام، ومنازلهم البلقاء من قديد إلى حيان، والصلت.

ومن القبائل : زُبيد وهم فرق شتى؛ منهم فرقة بالغوطة، وفرقة بصرخد.

قال: وزبيد أقسام؛ زبيد المرج، وزبيد حوران، وزبيد الأحلاف؛ فزبيد المرج الغوطة، وزبيد حوران صرهد، وزبيد الأحلاف ديارهم بالقرب من الرحبة وبجوار آل فضل، وكان لهم أمير فبطل.

ومن القبائل: بنو خالد وهم عرب حمص.

قال الحمدانى: وهم يدعون النسب لخالد بن الوليد[1]، رضى الله عنه.

قال فى آثار العباد: حوران قرية من قرى دمشق[2]

قيل: إنها قرية أصحاب الأخدود، بها نسبة لقاضى نجران، ينذر لها المسلمون والنصارى، وليست نجران التى من مخاليف اليمن، فبناها ابن سبأ نجران

---

(١) هكذا قال الحمدانى، وقد أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عقبة وأنهم من ذوى قرابته من بنى مخزوم. نهارية الأرب للنويرى(٣٥٧/٢) معجم قبائل العرب لعمر رضا حكالة(٣٢٩/١) صبح الأعشى (٢١٤/٤)

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد (١٨٥).

ابن يشجب؛قال ﷺ : « القرى المحفوظة أربع: مكة والمدينة وإيلياء ونجران، وما من ليلة إلا وينزل على نجـران سبعون ألـف ملك يسلمون على أصحـاب الأخدود » ، وفى كلامه نظر[1].

ينسب إليها عبد الله بن الثامر شهيد نجران، وكانوا أهل شرك، وله قصة.

قيل: إنه أخـرج فى زمن عمـر - رضى الله عنه - وأصبـعه على صـدغه كـما وضعها حين قتل.

وأجـمع أهل العلم علـى انقـراض نسب خـالد ولا أمـر لهم، ومن القـبـائل: غزية، وقد عدهم فى التعريف من جملة عـرب الشام من العدنانيين. قال فى العبر: ولم تزل لهم صولة، والغالب عليهم عدم الطاعة، ومقرهم أرض الشام.

---

(١) أخرجه أبي عراق الكناني في كـتابه « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيـعة الموضعة »٢/٨٥ من حديث ابن عمـر وقال : قال ابن عدي حديث منكـر ، وأورده ابن الجوزي في الواهيان وفيه مـحمد بن يحيى المأربي متروك ، وأورده الذهبي في الميزان وقال باطل.

المملكـة الثانيـــة

المملكة الثانية من الممالك الشامية: حرسها الله ـ تعالى ـ حلب.

واختلف فى تسميتها على قولين حكاهما فى (الروض المعطار):

أحدهما: أنه كان ينزل موضع قلعتها ربوة نبى الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ يأوى إليها، ويحلب غنمه بها، ويتصدق به، فسميت بذلك.

الثانى: أنها سميت باسم رجل من العمالقة اسمه حلب.

قال فى الزاهر: وهو حلب بن المهر مِنْ ولد جان بن المكنف.

قال فى مسالك الأبصار: وهى من قواعد الشام القديمة فى وطأة حمراء على مدرج طريق العراق، مبنية بالحجر الأصفر الذى ليس له نظير، وتعرف بحلب الشهباء، بها المسالك الفائقة، والأسواق الأنيقة، والحمامات البهية، ذات جوامع ومدارس وخوانق وزوايا وغير ذلك، قال فى مسالك الأبصار: ويجرى بها نهران؛ أحدهما يُعرف بنهر قويق وهو نهرها القديم، الثانى: يُعرف بنهر الثاجور وشرب أهلها من جهات أربع من ماء المطر، وليس لأهلها انبعاث لشرب الثلج؛ لاعتدال صيفها وشتائها، وبها فواكه كثيرة.

قال القزوينى[1]: هى مدينة عظيمة، كثيرة الخيرات، طيبة الهواء، صحيحة التربة، لها سور حصين، وقلعة حصينة، وقد خص الله هذه المدينة ببركة عظيمة من حيث يزرع فى أرضها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والكرم والمشمش والتفاح والتين والفستق، كله يُسقى بماء المطر ويأتى غضًا رويا يفوق ما يسقى بالسيح فى غيرها من البلاد، وقال **كشاجم** :

---

(١) انظر : مخطوطة آثار العباد وأخبار البلاد، الإقليم الثالث من لوحة(٩٦-١٠٣).

أرتك يد الغيث آثار مقعـــد   وأخرجت الأرضُ أزهارهـا

وما متعت جارهـــا بلــدة   كمـا متعت حلب جارَهـا

هى الخُلْد يَجْمَعُ ما تشتهـى   فَزُرْهَا فطوبـى لِمَن زارَهـا

والمدينة مسورة بالحجر الأسود، وفى جانب السور قلعة حصينة، وفى وسطها جبل مدور، والقلعة عليه، ولها خندق عظيم، ومن عجائبها سوق للزجاج، فإن الإنسان إذا اجتازها لا يريد أن يغادرها لكثرة ما يرى فيها من الطرائف العجيبة، والآلات اللطيفة تحمل إلى سائر البلاد من التحف والهدايا، وبوسطها قلعة جليلة بعيدة المنالة على تل مرتفع يقال: إن بها اللؤلؤة التى كان نبى الله إبراهيم - عليه السلام - يقتنيها، وهناك مشهد يُعرف بإبراهيم - عليه السلام - يقصده الناس للزيارة.

قال فى مسالك الأبصار: ومن فضائل هذه القلعة أن بها منابع ماء لا يخاف منها، عند الخوف ظلمًا، وعليها سوران دونهما خندق لا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه، وهى أوسع الشام بلادًا متصلة ببلاد سيس[1] والروم وديار بكر وبرية فى العراق، ونيابتها من أعظم نيابات الممالك الشامية، ثم ارتفعت عليها نيابة الشام كما تقدم الكلام وبها ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: فى حاضرتها وهى على ما تقدم فى دمشق من انقسام عساكرها إلى الأمير الكبير، وبها مقدمو الألوف من الحاجب، ودودار السلطان وغيرهم، وطبل خانات والعشرات والخمسات ومقدمو الحلقة، وذكرنا المراد منه فى (حدائق الياسمين فى قوانين الخلفاء والسلاطين)، والآن بطلت هذه الأسماء، لكنها منقولة باستعمال المؤرخين، فلا يعلم المراد منها، ونيابتها فى الرتبة الثانية فى

(١) المقصود ببلاد « سيس » هي مملكة أرمينية الصغرى التي قامت في جنوب غرب آسيا الصغرى .

ديوان الإنشاء بنائب السلطنة، ولا يعرف بكافل السلطنة، كما يعرف به نائب الشام، ويكتب ثمنه المربعات الجيشية، والإقطاعات الكبار الجيشية إلى الأبواب الشريفة، ويشملها الخط الشريف، ويكتب من التواقيع الكريمة، ويكتب على ما يتعلق بنياباته بالمراسم الشريفة، ولقلعتها المذكورة نائب جليل أمير طبل خاناه.

قلت: الآن لا يكون له ذلك بل هو بمنزلة مقدم عشرة أو خمسة، ولا يدخل تحت حكم نائب السلطنة، وولايته من الأبواب الشريفة، ومرسوم شريف، وبها من الأجناد البحرية نحو أربعين رجلًا لحراستها، ويسمون البحرية[1] لا يتوجهون في سفر ولاقدمة نائب على نحو ما تقدم فى قلعة دمشق.

قلت: لكن قلعة دمشق أبلغ فى ذلك، فإن بها وجاقان[2] بمنزلة أميرين كما تقدم من غير طبل خاناه، يسمى الأول: أغا الفبق نفس قول، والثانى: أغا القلعة، ويشتملون على نحو ألف نفس لخدمة القلعة، ولهم جربجية[3] وأضباشية، ويسكن بها غير دولتها، ولكل حكم خاص، والأضباشية فى كل يوم يكونون على الباب بالدور فى أماكن ومقاعد وتخوت يجلسون عليها، ولحلب أمير كبير كما لدمشق والحاجب الكبير، وهى فى ثانى رتبة النائب، وبها حجاب أكثرهم بطبل خاناه، والحاجبان كل منهما أمير عشرة، وهى كالجربجى.

---

(١) البحرية: جماعة من جنود المماليك يبيتون بالقلعة حول دهاليز السلطان فى السفر للحراسة وأول من رتبهم وسماهم بهذا الاسم الملك الصالح نجم الدين أيوب، معجم الألفاظ التاريخية ص١٢٩ ، ١٣٠ .

(٢) وجاقان: الوجاق تركية من أوجاق وله عدة معان فهو كل ما تنفخ وتشعل فيه النار من طين أو حديد، ثم أطلق على الجماعة التى يلتقى أفرادها فى مكان واحد، ثم أطلق على مجتمع أرباب الحرف ثم على الصنف من الجند كالسباهيين. انظر: معجم الألفاظ التاريخية ص :١٥٤.

(٣) الجربجية: الجربجى هو ضابط الإطعام فى المعسكر بالأصل ثم أطلق على رئيس المشاة ويشرف على أمور الكتيبة، وله حق تأديب الجند فى الجرائم الصغيرة، معجم الألفاظ التاريخية ص٥٢ .

وفى الكواكب: هو الذى يحكم على عشرة يكونون فى خدمته، فهو أقوى من الجربجى فى اصطلاح الأمير؛ لأن الجربجى بنفر يكون خدامه غير نفره، وفى الكواكب صُرِحَ بالخدمة، وبها شاد الدواوين ووالٍ وكل منهما أمير عشرة، إلى غير ذلك من الوظائف التى تتولى من جهة نائبها.

الوظائف الدينية: قضاة القضاء، من كل مذهب قاضٍ، ولها قاضيان عسكريان: حنفى وشافعى، وفى عهد بنى عثمان حنفى، وولايتهم من الأبواب الشريفة بتواقيع وتشاريف، وبطل فى بنى عثمان التشاريف، وبقى التواقيع، وليس إلا للقاضى الحنفى تشريف من قبل النائب بها، وهى فروة من السمور يلبسها يوم دخوله، وربما يلاقى الكافل فى جمع، ويرجع منفردًا عن القاضى، وأما المتسلم فلابد على طريقة بنى عثمان، وأما طريقة الأوائل فكان الباشا يخرج بطبوله ويلاقى القاضى ولكن يجىء بعده كما يفهم من كلامهم، ولا يخرج للقاضى إلا نُواب النواحى والكتاب وبعض المدرسين، وفى هذه الأيام لا يعمل القاضى موكبًا بل يأتى آخر الليل وبعد العشاء غالبًا، وربما يقع هذا للكافل، يأتى ليلًا بالمنزل، ثم بعد أيام يأتى كواخيه وأمتعته. وبها مفتى حنفى وشافعى يسميان: مفتيى دار العدل الشريف، وبها وكيل بيت المال، وولايته من الأبواب الشريفة، وبها وظيفة الحسبة، وصار أمرُها للنائب يولى فيها مَنْ يختار، وبها نقابة الأشراف، ونيابته من الأبواب، أرباب الوظائف الديوانية كتابة السر، وهى تماثل كتابة سر الشام، ويعبر عن صاحبها بصاحب ديوان حلب المحروسة، وولايته من الأبواب الشريفة بتشريف وتوقيع، وله إيقاع من موقعى الدست وكتابة الدرج بها، وولايتهم بتواقيع شريفة، وكان بها نظارة المملكة الحلبية، ويسمى الوزير، وولايته من السلطنة، ثم آلت إلى النائب بها، وبها ناظر الجيش، وولايته كذلك بتشريف وتوقيع، وناظر القلعة تحته على الوارد والصادر منها، وبها من أرباب الوظائف القياسية رياسة الطب، ويسمى

الآن حكيم باشى، ورياسة المكحل، ورياسة الجراحية، بطل ما تقدم فى دمشق، وتوالى ذلك من نائبها.

ترتيب النيابة فى الموكب بها: فعادة النائب إن ركب بموكبه فى يوم الإثنين والخميس، ويخرج من دار النيابة إلى سوق الخيل، ويخرج من باب النيرب، ويسير إلى الميدان فى جنب المدينة، ثم يعود من حيث جاء، وتقف الأمراء بسوق الخيل فى انتظاره ساعة لطيفة، ثم يعود من حيث أتى إلى دار النيابة، ومعه الأمراء من أرباب الوظائف وغيرهم وتراجل مماليكه. ثم الأمراء على قدر تواقيعهم، ويمر النائب راكبًا حتى يأتى على مقعد مرتفع عن الأرض، أو دكة صغيرة من خشب فى جانبه، فيترجل مع جانب المقعد، ويجلس على تلك الدكة، ويجلس حاجب فى جانبه على مرتبة لطيفة بمقعد يجلسوه، ثم يجلس على يسار النائب قاضى القضاة الشافعى ثم الحنفى، والآن لا يجلس النائب فى المهمات إلا قاضى القضاة الحنفى بدار العدل فى دمشق، وسميت دار العدل؛ لأنها وقعت للتدبر والمشاورة، وبعض مهمات السلطنة، فيأتى الأمراء من بيوتها والوزراء من سراياتهم والعلماء والقضاة ويمكثون ثم يذهبون، والآن هى دار الوزارة فى عهد بنى عثمان.

وأما القضاة الثلاثة: فلا يجالسون الحكام، والآن يجالسون الحكام فى الدواوين إلا المفتى الحنفى والمدرسين، وفى القديم المجالسة للقضاة الأربع ومفتيى دار العدل والاصطلاح قدر ما يستوعب الزيارة؛ لأنه إحداث قانون لمصطلحٍ ما، ثم يجلس الوزير عن ناظر المملكة لحلب إذ ذاك، ويجلس كاتم السر أمام النائب على القرب منه، وعن يمينه ناظر الجيش، ثم كتاب الدست على ترتيب منازلهم حتى يتساووا فى المقابلة لقاضى القضاة ومن معهم، ويجلس باقى الموقعين من الصفين مقابل صاحب الحجاب حتى يصلوهما فيصيروا كالحلقة المستديرة، وتقف الحجاب الصغار أسفل حاجب الحجاب، ونقباء الجيش ويمد السماط، وتأكل

الأمراء ومن فى معناهم، ثم ترفع القصع وتتناولها النقباء ويتناولونها للدودار وحاجب الحجاب فيناولها لكاتب السر، فيفرقها على كبار الدست؛ فيفرقونها ويفرقون ما بقى معه؛ فإن فرغت القصع قام من المجلس القضاة ومن فى معناهم وانصرفوا.

قلت: وهذه الدورة فى الموكب ليست من قوانين دمشق، وإنما موكبه فى يوم دخوله يكون له موكب حافل، وفى أول جمعة ينزل بها للجامع الكبير جامع بنى أمية فى الموكب الأول، تركب الأمراء، وآغات الوجاقات، ولا يمشى إلا دولة القلعة، ولا يركب إلا آغاتهم، ويلبس أغا القلعة عمامة كبيرة كما تبين، كذا فى قانون بنى عثمان فيما أعلم.

وأما كاتب الديوان الرومى والعربى فعلى عكس ما كان فى الأول، ومن قانون دمشق لبس الريش طرز بلاد الروم، يلبسهم جربجية القصر، وأخبرنى بعض المعمرين: أنه أدرك ستين خدمة إلى أن صارت خمس عشرة فى إدراكنا، والآن بطل، والله أعلم.

المقصد الثانى: فيما هو خارج من محازاتها، ودخل فى مملكتها من المدن والقرى والقلاع وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول : ما هو داخل فى بلاد الشامية وهى سبعة وعشرون عملًا.

الأول : عمل برها وهى نواحيها كما تقدم فى دمشق.

الثانى: عمل بهنسى وهى قلعة شمالى حلب حصينة لا ترام، وبها نهر صغير وبها عسكر من التركمان والأكراد ولا يزال لهم [آثار] فى الجهاد.

الثالث: عمل قلعة المسلمين ، وكانت تسمى قلعة الروم ، وهى من القلاع الحصينة التى لا تدرك، وبها نهر يصبّ فى الفرات ، وكان بها قلعة

الأرمن حتى فتحها السلطان الملك الأشرف خليل - سقى الله عهده[1] - وسماها بذلك.

الرابع: عمل عينتاب وأصله عين تاب، وهى مدينة حسنة البناء، واسعة الأرجاء، كثيرة المياه والبساتين، نبيلة الفواكه، تكاد الحبة من تفاحها تزن قدر رطل بالمصرى.

قلت: وبالمناسبة وجد بالصالحية رمانة حملت رمانة أحد عشرة أوقية شامية وأخرى سبع أواق والباقى كالعادة، وبعينتاب قلعة جليلة منقوبة فى الصخر.

الخامس: عمل الرَّاوندان، قلعة من قلاع قِنَّسرين على جبل أبيض مرتفع ذات بساتين وأعين، وبها نهر عفرين من تحتها.

السادس: عمل كختا ويقال: الكختا وهى قلعة فى أقاصى الشام من جهة الشمال عالية لا ترام، وبها نهر كركر شرقيها وملطية غربيها.

السابع: عمل كَرْكَر قلعة شاهقة يرى الفرات منها كالجدول الصغير، وهى من أقاصى الشام الشمالى من حلب، وكانت من أعظم الثغور فى زمان التتر[2].

الثامن: عمل الدربساك شمالى حلب، قلعة عظيمة ذات أعين وبساتين يمر بها نهر يسمى بالنهر الأسود.

التاسع: عمل بغراص قلعة حصينة ذات أعين وبساتين، كانت هى الثغر فى نحر الأرمن فاستضيقت من فتوحات الجاهانية، وبها رصص على جميع سائر البحر.

---

(١) هو السلطان الملك الشرف صلاح الدين خليل ، ابن المنصور قلاوون ، كان ملكاً مهيباً عالي الهمة ، أبطل الكثير من المكوس ، واستعاد عكا ونال شرف تصفية الوجود الصليبي من بلاد الشام ، وقُتل غدراً على يد نائبه بيدرا سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م ، انظر : ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص ٣١٠.

(٢) لعل المقصود به الدور زمان التتار .

العاشر: عمل القصير غربى حلب قلعة.

الحادى عشر: عمل الشُّغر وبكاس قلعتان من جند قنسرين على جبل مستطيل، وفيهما نهر يجرى وبساتين وأشجار.

الثانى عشر: عمل حجر شُغلان قلعة بالقرب من بغراص فى جهة الشمال على نحو ثلاث مراحل منها.

الثالث عشر: عمل قلعة أبى قبيس وهى غربى قلعة حصينة مما يلى الساحل على ثلاث مراحل من حلب.

الرابع عشر: قلعة حارم قلعة حصينة غربى حلب، وبها نهر وبساتين، وبجوارها بحيرة عظيمة تسمى بحيرة حارم، وإليها تضاف عموم حارم.

الخامس عشر: عمل كفرطاب بلدة صغيرة من جند الحمص، وبينها وبين المعرة وشيزر - بتقديم المعجمة - اثنا عشر ميلاً.

السادس عشر: عمل فامية - ويقال: أفامية - مدينة من عمل شيزر، وبها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب(١) ، قلت: لعل المراد كالنهر الأعوج بدمشق.

السابع عشر: سرمين مدينة قرب حلب، وشرب أهلها من المطر، وتسمى الغرميات.

الثامن عشر: الجبول بلدة شرقى حلب، ومنها ينتقل الملح إلى سائر بلاد حلب.

التاسع عشر: عمل جبل سمعان عن حلب ساعة فى الشمال.

العشرون: عزاز، والجارى على الألسن أعزاز، مدينة تبعد عن حلب مرحلتين.

---

(١) لعل المقصود به نهر العاصي الذي يخالف جريانه إتجاه معظم الأنهار في بلاد الشام .

الحادى والعشرون: تل باشر حصن شمالى حلب على مرحلتين منها ذات بساتين ومياه.

الثانى والعشرون: منبج بناها بعض الأكاسرة الذين ملكوا الشام وسماها منبة فعربت منبج، وكان بها بيت نار للفرس، وبها دود الحرير، وهو الذى يبرز الحرير وأكثرها الآن خراب.

الثالث والعشرون: عمل تيزين غربى حلب على نحو مرحلة.

الرابع والعشرون: الباب وبزاعة بلدتان متعارفتان، وبظاهر إحداهما قبر عقيل بن أبى طالب، وبزاعة فمن مضافاتها.

الخامس والعشرون: عمل دركوش، بلدة على نهر العاصى كثيرة العنب، بها قلعة عاصية، واستولى هولاكو على قلاع الشام ما عداها، ولها سور عظيم وبعضها خراب.

السادس والعشرون: عمل أنطاكية مدينة عظيمة قديمة البناء على ساحل بحر الروم [بناها بطليموس] الثانى من ملوك اليونان، وقيل: بناها أنطاكين وسورها لم يكن له نظير فى الدنيا، طوله اثنا عشر ميلًا من صخر صلب، وعدد شرفاتها اثنان وعشرون ألفًا، وأبراجها مائة وستة وثلاثون، يمر بظاهرها نهر العاصى والأسود مجموعين، وتجرى مياهها فى دورها.

وقيل: إنها المذكورة فى سورة يس فى قوله - تعالى - ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ [يس: ٢٠ [وإن ذلك الرجل حبيب النجار، وقبره مشهور(١)، وميناها السويدية.

---

(١) ورد ذكر هذه القصة في الكشاف عن حقائق التنزيل لأبي القاسم الزمخشري ٣١٩/٣.

وقال القزويني فى (آثار العباد والبلاد)[1]: أنطاكية مدينة عظيمة من أعيان المدن على طرف بحر الروم بالشام موصوفة بالنزاهة، والحسن، وطيب الهواء، وعذوبة الماء، فى داخلها مزارع وبساتين، بنتها أنطاكية بنت الروم بن سام بن نوح ذعليه السلامذ ذات سور، ولسورها ثلاث مائة وستون برجًا، يطوف عليها أربعة آلاف حارس من عند صاحب القسطنطينية، يقسمون حراستها سنة، ويستبدلون فى الثانية، وسورها مبنى على السهل، والجبل من عجائب الدُّنيا، قدرها اثنا عشر ميلاً، وكل برج من أبراجه منزل بطريق يسكنه بخدمه حوله، وجعل على كل برج طبقات، الأسفل: مرابط الخيل، أوسطه: منزل الرجال، وأعلاه: موضع البطريق وكل برج لحصنه عليه أبواب من حديد، وفيها ماء لا سبيل لقطعه من الخارج، والمدينة دائرة نصفها سهل ونصفها جبل، وقطر الدائرة فاصلة بين السهل والجبل، ولها قلعة عالية جدًا تبين من بُعْد، تستر الشمس من المدينة فلا تطلع عليها إلا فى الساعة الثانية، وبها بيعة القسيسان وهو الملك الذى أحيا والده بطرس من الحواريين كما جاء فى القصة فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ﴾ [يس: ١٣ [وعلى بابها فنجان الساعات لليل والنهار يعمل كل واحدٍ اثنتى عشرة ساعة، وبها من المسترزقة والخدم ما لا يحصى، ولها ديوان فيه بضعة عشر كاتبًا ـ يعنى فى المدينة ـ والمدينة خمس طبقات، على الخامسة الحمامات والبساتين ومناطه حسنة، وسبب ذلك أن الماء ينزل من الجبل، وبها كنائس مكلفة بالرخام والفسيفساء، والزجاج الملون، والبلاط المجزع، وحماماتها من أطيب الحمامات؛ لأن ماءها يسح ووقودها الآس، قال المسعودى: رأيت فيها من المياه ما استحجر فى مجاريها المعمولة من الخزف، ولكن إن بأنطاكية رصدًا

---

(١) انظر : مخطوطة آثار العباد وأخبار البلاد للقزوينى ، لوحة رقم(١٠١).

للبق إذا أخرج الإنسان يده إلى خارج السور وقع عليه البق، إلى أن كسروا عمودًا من الرخام، فوجدوا فى أعلاه حق من النحاس فيها بق من نحاس مقدار كف فبطل الآن، والآن يعمها، وبها نوع من الفأر يعجز عنه السنور، وبها مسجد حبيب النجار صاحب يس ـ رحمه الله تعالى ـ الذى قال: ﴿ قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾ [يس: ٢٦ـ ٢٧] فلما قتلوه أهلكهم الله وكان بأنطاكية مؤمنون وكفار[١]، فالصيحة ما أيقظت المسلمين بل الكفار.

النوع الثانى: من الأعمال الحلبية البلاد المعروفة ببلاد الأرمن، وتشتمل على ثمانية أعمال.

الأول: آياس مدينة حسنة كان أمرها إلى نائب الشام، ثم أضيفت إلى نائب حلب، وهى مجاورة لنهر جيحان، واستعادتها من الأرمن فى سنة ثمانى وثلاثين وسبعمائة.

الثانى: طرسوس بناها الرشيد فى سنة سبعين ومائة، وأكملها فى سنة اثنتين وسبعين ومائة، وبها دفن ابنة المأمون، وهى سجن لمن يتغير عليه السلطان وينفيه، وأصل عمارتها ـ أى طرسوس ـ ابن البرام ابن النقس بن سام بن نوح عليه السلام، ولما وصل الرشيد جددها، وشق نهرها، ولها سور وخندق، وهى موطن الزهاد، قال فى (آثار العباد): وإنه قصدها نقفور[٢] ملك الروم، قال فى الآثار: وهى بيدهم الآن؛ فعليه يكون فى عصر الستمائة[٣]، والآن بعد الألف وقبله مع المسلمين.

الثالث: عمل أدنة من بلاد الأرمن أيضًا من بناء الرشيد، وبينها وبين طرسوس ثمانية عشر ميلاً.

---

(١) ورد ذكر ذلك في الكشاف للزمخشري ٣/٣١٩.

(٢) هو الإمبراطور البيزنطي نقفور فوكاس ينظر: تاريخ الطبرى (٦/٥٠٠).

(٣) في المخطوط الثمانية وهو تحريف ينظر آثار العباد.

الرابع: المرفندكار، وقد يجعل موضع الفاء واوًا، يقال: سروندكار، وفي الدواوين سطرت: إسفندكار بهمزة وإسقاط الراء الأولى، وهي قلعة من بلاد الأرمن حصينة في وادٍ على صخرة، وبعض جوانبها ليس له صور؛ لاستغنائه بالصخر.

الخامس: عمل السيس، بناها بعض خدم الرشيد، وهي قاعدة بلاد الأرمن جميعًا ولها قلعة حصينة، ولها ثلاثة أسوار على جبل مستطيل، وكان إعادتها من أحد الكفار زمن الأشرف شعبان - سقى الله عهده[1] - على يدي الأمير؛ قشتمر المنصوري نائب حلب إذ ذاك.

السادس: ملطية بناها أبو جعفر المنصور سنة تسع وثمانين[2] وألف، وجعل لها سورًا محكمًا، وعدها ابن حوقل من ثغور الشام، وبعضهم عدها في ثغور الجزيرة، وهي بلدة مسورة، الجبال محيطة بها، وبها نهر صغير يمر بسورها ويدخلها، وكان فَتْحُها سنة خمس عشرة وسبعمائة.

السابع: درندة مدينة غربي ملطية ذات بساتين وأنهار وعيون تجري، وهي عن حلب مسيرة عشرة أيام.

الثامن: ديرك ويقال: دورك، وبها أنهار وبساتين.

التاسع: أبلستين مدينة عظيمة قرب ملطية، وبها عيون وأنهار وبساتين، وفيها ثماني قلاع صغار.

---

(١) يقصد به السلطان المملوكي الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد حكم من سنة ٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٢-١٣٧٦م. انظر : ابن دقماق : الجوهر الثمين ٤٠٩ - ٤٣٦ .

(٢) هكذا في المخطوط وفي الأعشى(٤/١٣٢) ولعله مصحف عن ثلاثين؛ فإن المنصور تولى الخلافة سنة ست وثلاثين ومائة وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة . انظر : ابن دقماق : الجوهر الثمين ٩١ .

إحداها: قلعة حكرون على رأس جبل على نصف مرحلة من طرسوس.

الثانية: قلعة كاوراً على البحر الرومى استجدت سنة تسع وستين وسبعمائة.

الثالثة: قلعة كولاك، قلعة مدورة على رأس جبل، سكن للأكراد.

الرابعة: قلعة كرزال صغيرة على رأس جبل.

الخامسة: تل حمدون خربها المسلمون ثم استجدت.

السادسة: الهارونيتين، وبهما حصنان بناهما الرشيد.

السابعة: قلعة نجمة من بناء السلطان محمود زنكى، وفى التعريف ما يقتضى أنها من بناء المأمون.

الثامنة: لؤلؤة قلعة لطيفة شمالى كولاك.

النوع الثالث من الأعمال الحلبية: ما أضيف إليها من بلاد الجزيرة الفراتية، وهى ثلاثة أعمال.

الأول: عمل البيرة، وهى قلعة فى البر الشرقى فى الشمال عن الفرات، محلة لا ترام ولها سور.

الثانى: قلعة جعبر، وهى قلعة حصينة من ديار بكر فى البر الشرقى للفرات، وكانت خراباً وعمرت زمن ابن قلاوون.

الثالث: عمل الرها مدينة من ديار مضر فى البر الشرقى من بناء الروم، قال فى الروض المعطار: لم يكن فى الجزيرة أحسن منها.

مهمة: لما مضى اللنك[1] فى بلاد الشرق تغلب على الأعمال الحلبية، وخرب غالبها، فلما عاد من البلاد استأصلوا التركمان والأكراد جميع البلاد التى

---

(١) أي تيمور لنك.

أخربها الملوك، وملكوا قلاعها، ونزعوها من السلطان إلى أن توجه السلطان السعيد المؤيد الشهيد فى سنة عشرين وثمانمائة، فاقتلعها من أيديهم وانتزعها بجملتها وأضافها إلى هذه المملكة، واستناب فيها من أمرائها وأجنادها.

المقصد الثالث: فيما هو خارج عن ثغرة حلب من النيابات والولايات، وهى على أربعة أنواع.

الأول: النيابات وهى على ثلاث طبقات.

الطبقة الأولى: معدة من الأول، وهى ثمانية أبواب. الأولى: نيابة قلعة المسلمين، الثانية: نيابة أبلستين، نيابة آياس، طرسوس، سيس، البيرة غير التى بالأندلس، وترجمها القزوينى الرها.

الطبقة الثانية: طبقة أمراء الطبل خاناه، وهى ست نيابات وولايتها من الأبواب الشريفة.

الأولى: كختا، وكانت من العشرات.

الثانية: البهنسى.

الثالثة: راوندان.

الرابعة: جعبر.

الخامسة: ملطية.

الطبقة الثالثة: أمراء العشرات، وهى تسع نيابات.

الأولى: عينتاب، وكانت تقدمة ألف.

الثانية: نيابة الراوندان.

الثالثة: الدربساك.

الرابعة: بغراس.

الخامسة: نيابة القصير، وقيل: عينوا لها جنديا.

السادسة: نيابة الشعروبكاس، قال فى الكواكب: ولها جندى.

السابعة: نيابة شيزر ثم قويت، عقد لها حاكم ألف.

الثامنة: نيابة دبركى وكانت طبل خاناه، ثم سوندكار صلحناه أيضًا ثم بطل.

الطبقة الرابعة: نيابة مقدمى الحلقة وأجنادها وولايتهم من حلب، نيابة قارا، وكاورا، وكولاك، وكديشى، وتل حمدون، والهارونتين، ونجمة، وحميص، وقلعة لؤلؤة.

النوع الثانى: مما هو خارج عن الإمرة ويوليها نائب حلب، وغالبها أجناد، والمشهور اثنتا عشرة ولاية، برها وهو والى الولاة وهو أير بطبل خاناه، وولاية كفرطاب وسرمين، وربما كانت إمرة عشرة، والجبول، وتل سمعان، وإقامة واليها بحلب، ويحضر المواكب مع ولاة المدينة، وولاية قلعة الكرزالية منها، وولاية عزاز، وربما كانت أثنتا عشرة، وولاية تل باشر، وكان لها والٍ من الجند، ثم أضيفت إلى، وولاية السنح، وتيزين، والباب، وبزاعا، ودركوش، وأنطاكية، وربما كانت إمرة عشرة. قلت: ولعل أنطاكية غيرها المشهورة ووراء ذلك بلاد أخر ببلاد الأرمن، وغالبها أجناد، قال فى (كوكب الملك): ولم يتحرر أمرهم لى.

النوع الثالث: مما هو خارج عن محاذاة حلب، العربان قبيلتان: بنو كلاب قال فى (الروض المعطار): وهم عربان يتكلمون بالتركية، ويركبون الأكاديش[1]، وهم من أشد العرب بأسًا، وأكثرهم ناسًا، ولكنهم لا يدينون لأمير منهم، ولو

---

(١) نوع من الخيول كما فى التعريف السابق.

انقادوا لواحد لم يكن لأحد بهم من العرب طاقة، وكان الناصر محمد بن قلاوون متلفتًا إلى تألفهم، وآخر الأمراء منهم، وأمر عليهم سليمان بن مهنا، وجعل عليهم حفظ جعبر وما والاها.

وآل بشار، قال فى مسالك الأبصار: إن ديارهم الجزيرة والأحص حصن ببلاد حلب، وحالهم فى عدم الانقياد كحال عربان بنى كلاب، ولو اجتمعوا لما قوى عليهم أحد من كل النواحى، ولم تزل آل فضل منهم على وجل.

النوع الرابع: مما هو خارج عن مملكة حلب، التركمان: وهم طوائف كثيرة قال فى التثقيف: وغالبهم لا يكاتب من السلطان إلا إذا ضمنه مطلق شريف، وإن كاتب السلطان، وكان طبل خاناه كتب له الشامى.

والمشهور منهم سبع طوائف:

الدلغادرية: وكانت هى التركمان، وله الرأى الصائب، وكان أدحضه الأشرف برسباى، فلما درج بالوفاء قربه السلطان جقمق وتزوج ابنته، ثم توفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة[١]، واستقر مكانه سليمان، ثم ولده قلج قبلان أميرًا على طائفتهم، وإقامتهم قلعة زبنطر[٢]، وكان بأيديهم نيابة قيسارية.

الثانية: الأوجقية، ومنازلهم أدنة ومصيصة وعليها ولايتها، والآن أميرهم أزرمتان. ذكره فى كوكب الملك.

الثالثة: الأوزرية، ومنازلهم مصيصة، وأميرهم ابن أوزر، وهم الدكرشية وقد تولانها أميرهم نيابة الصلت من عمل الشام وانقلبوا معه.

الخامسة[٣]: الأساورية، فيصفوا فى مماضرة الشام، وفى المنا قرب سيس.

---

(١) في المخطوط سبعمائة وهو تحريف. انظر الشذرات(٧/٢٩١).

(٢) والصحيح قلعة زبطره.

(٣) لم يذكر الرابعة، هكذا فى المخطوط.

السادسة: المورسق إقامتهم بجبال طرسوس، وأميرهم عيسى بك ابن قراعيس.

السابعة: الكبكية، ومنازلهم بأرض ملطية وقلعة الروم، أميرهم أسلماس بن سولى بن كبك، وبها طوائف من الأكراد خرجوا عن الطاعة من أيام اللنك [فجهز][1] محمد بن السلطان المؤيد شيخ من أعادهم إلى الطاعة، وأقامتهم بأرض أعزاز والخزبة، والمق، وجبل باريشة، وأقام عليهم أميرًا ويسمى (ناصر)، وإقامته بحلب، وأما كلز فهى قرية من نواحى أعزاز بين حلب وأنطاكية، قال القزوينى، وذكرها فى جملة البلاد: جرى بها - أواخر ربيع الأول سنة تسع عشرة وستمائة - أمر عجيب وشاع ذلك بحلب، وكتب عامل كلز إلى حلب كتابًا بصحة ذلك، وهو أنه: رأى هناك بيتًا عظيمًا غلظة شبه منارة، أسود اللون، ينساب إلى الأرض، والنار تخرج منه ودبره، فما تمر على شىء إلا أحرقه، حتى احترقت مزارع وأشجار كثيرة، وصادف فى طريقه بيوت التركمان وخرفانهم، فأحرقها بما فيها من الناس والمواشى وذلك نحو عشرة فراسخ لذلك، والناس يشاهدونه من البعد، حتى أغاث الله أهل تلك الناحية بسحابة أقبلت من البحر، فتدلت حتى أشملت عليه ورفعته نحو السماء، والناس ينظرون إليها حتى غاب عن الأعين، ولقد لفت ذنبها على كلب، والكلب يصيح فى الهواء.

ولم يذكر المرقب مع أنها من القلاع والبلدان وهى تشرف على سراحل الشام.

قال أبو غالب المغربى فى تاريخه: وعمر المسلمون (المرقب) سنة أربع وخمسين وأربعمائة فجاءت فى غاية الحصانة والحسن حتى تحدث الناس بها،

---

(١) زيادة ليستقيم بها المعنى . ويقصد باللنك أيام تيمور لنك .

فطمع فيها الروم، وطمع المسلمون بالحيلة فى الروم بسببه، فما زالوا حتى بيع الحصن منهم بمال، بعثوا شيخًا وولديه إلى أنطاكية لقبض المال وتسلم الحصن، فبعثوا المال مع ثلاث مائة رجل، وأخروا الرجل ووالديه عنهم، فلما وصل المال إلى المسلمين قبضوها وقتلوا بعض تلك الرجال وأسروا آخرين، فأوعدوهم بمال آخر واستفكوا الشيخ وولديه ببعض أسراهم، وحصل الحصن والمال، وقتل كثير من الروم.

وقال القزوينى: هى بلد وقلعة حصينة مشرفة على سواحل بحر الشام[1].

---

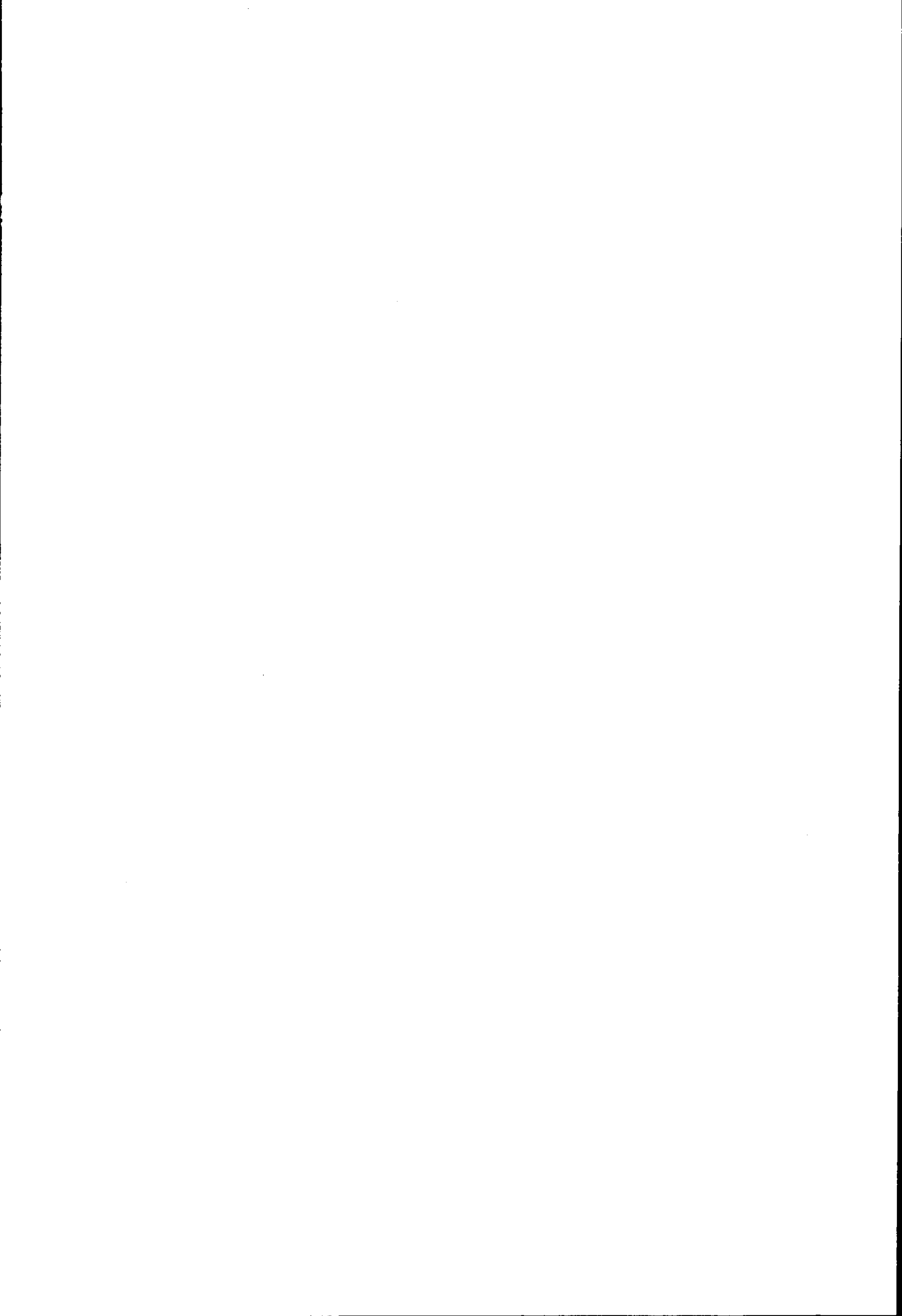
(١) هكذا انتهى المصنف من مملكتى دمشق وحلب من كتابه «المواكب الإسلامية فى الممالك والمحاسن الشامية».

المصادر المخطوطـة

* آثار العبـاد وأخبار البـلاد ، للقزوينى. مخطوطـة محفوظة بـدار الكتب المصرية، قسم التاريخ.

* نزهة الأنام فى محـاسن الشام، لابن المزلق. مـخطوطة محفـوظة فى دار الكتب المصرية، قسم التاريخ.

* * * *

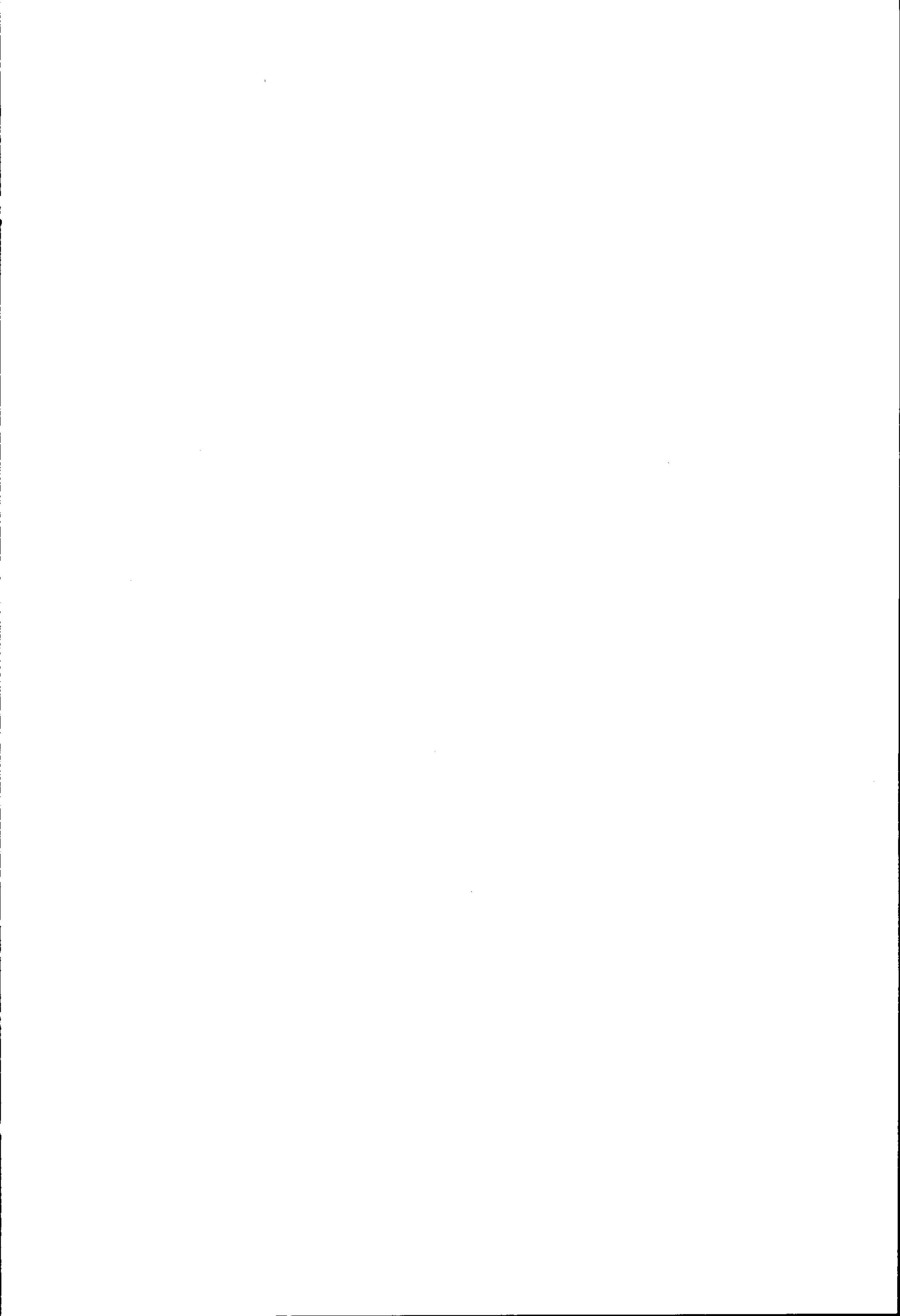


المراجع والمصادر

* الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر ، بذيل الإصابة، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.
* الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر، تحقيق على محمد البجاوى ، مطبعة نهضة مصر ١٣٨٣ هـ .
* الأعلام ، للزركلى ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٩٧م .
* الإغريق: تاريخهم وحضارتهم، د/سيد أحمد الناصرى، ط دار النهضة العربية، القاهرة.
* الأنساب، السمعانى، ط دار الكتب العلمية ذ بيروت.
* البداية والنهاية ، ابن كثير ، دار الحديث ، القاهرة ١٩٩٨م .
* البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكانى، ط مكتبة ابن تيمية؛ القاهرة.
* بهجة الجالس وأنس المجالس ، لأبى عمر بن عبد البر ، ط دار الكتاب العربى .
* تاج العروس ، للزبيدى ، ط حكومة الكويت، والمطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ بمصر .
* تاريخ ابن خلدون، دار الفكر ، بيروت.
* تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر ، دار الفكر، بيروت ، ١٩٩٥م.
* تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط الحلبى، القاهرة ، بدون تاريخ .
* الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، لابن دقماق ، تحقيق سعيد عاشور ، مكة المكرمة : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى .
* خلاصة الأثر، للمحبى، مصر ١٢٨٤ هـ.
* الدارس فى تاريخ المدارس، النعيمى؛ ط١ دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
* الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، السيوطى - المطبعة الميمنية، القاهرة.
* الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة ، لابن حجر ، مصورة عن دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد بالهند ، ١٣٤٨هـ.

* الديباج المذهب، ابن فرحون، ط دار التراث، ، تحقيق د . محمد الأحمدي ، أبو النور . القاهرة . دار التراث ١٩٧٢م .
* الروض المعطار فى خير الأقطار ، محمد بن عبد المنعم الحميرى، دار السراج - بيروت .
* سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ، لأبى الفضل محمد خليل بن على المرادى (ت١٢٠٦هـ) ، دار ابن حزم ١٩٨٨م .
* سنن ابن ماجة (محمد بن يزيد القزوينى) ، دار المؤيد ، الرياض ١٩٧٧م .
* سير أعلام النبلاء، الذهبى، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ .
* شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلى، طبع القدسى، القاهرة ١٣٥٠هـ.
* صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، على بن بلبان الفرسى ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ،١٦٩ مؤسسة الرسالة ١٩٩٧م .
* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدين السخاوى ، مصورة عن طبعة بمصر ١٣٥٥هـ .
* العثمانيون فى التاريخ والحضارة ، لمحمد حرب ، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى - القاهرة ١٩٩٤م .
* عمارة الأرض، جميل عبدالقادر، دار الحكمة المغرب.
* فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥١م .
* القاموس المحيط ، الفيروزابادى ، ط٤ مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبي القاسم الزمخشري، طبعة دار الفكر . بدون تاريخ .
* كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، حاجى خليفة، ط دار الفكر - بيروت ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
* لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر - بيروت ١٩٩٤م .

* مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صفي الدين البغدادي ، طبعة ١ ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .
* معجم الألفاظ والكلمات التاريخية، محمد أحمد دهمان، ط دار الفكر المعاصر - بيروت.
* معجم البلدان ، ياقوت الحموى ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
* معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
* معجم ما استعجم،لأبى عبيد البكرى (ت ٤٨٧ هـ) ، عالم الكتب.
* مقدمة ابن خلدون ، وتاريخه ، طبعات مختلفة .
* المنهل الصافى والمستوفي بعد الوافي، ابن تغرى بردى، تحقيق محمد أمين، ونبيل عبدالعزيز، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥م - ١٩٩٤م.
* النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغرى بردى ، تحقيق إبراهيم على طرخان ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة .
* هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادى، ط دار الفكر - بيروت ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م .
* الوافى بالوفيات، الصفدى، ط دار فرانز شتاينر، ألمانيا ، ط٢، ١٣٩٤هـ.
* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ١٣٩٨هـ .



فهرس المحتويات

تابع فهرس المحتويات